الفصل الأول

تربية الدوافع

ويشتمل على دراسة الموضوعات الآتية:

* التعريف بالدوافع.
* أهمية الدوافع.
* أقسام الدوافع
* دوافع فطرية
* دوافع مكتسبة.
* دوافع حفظ الذات.
* دوافع حفظ النوع.
* الدوافع المكتسبة.
* دوافع السلوك عند علماء النفس.
* تفسير دوافع السلوك عند علماء النفس.
* الدوافع الفطرية والمكتسبة عند علماء النفس.
* دراسة لبعض الدوافع الشعورية.
* دراسة لبعض الدوافع اللاشعورية.
* تعديل الدوافع.

obeikandl.com

التعريف بالدوافع

[١] ـ الدوافع في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط من معاني مادة (دَفَعَ) ما يلي: ـ

«دَفَعَ» إلى فلان دفعاً انتهى إليه. ويقال طريق يدفع إلى مكان كذا ينتهي إليه. «وَدَفَعَ» الشيء نحّاه وأزاله بقوة، وفي التنزيل العزيز ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾[١]، ويقال دفعته عني، ودفع عنه الأذى والشر.

«وَدَفَعَ إليه الشيء» رده. ويقال دَفَعَ القول: ردد بالحجة.

«دَافَعَ» عنه مدافعة ودفاعاً: حامى عنه وانتصر له، ومنه الدفاع في القضاء. ودفع عنه الأذى: أبعده ونحاه... الخ»[٢].

أفادت مادة دفع معاني كثيرة تدور أغلبها حول مدافعة ما يعود بالضرر على الفرد في نفسه أو شخصيته، كما تستعمل في الدلالة على ما يحقق مصلحة الفرد إثباتاً لحقوقه ـ مادية ومعنوية ـ ودفاعاً عنها.

---

(١) سورة البقرة، آية: (٢٥١).

(٢) المعجم الوسيط (جـ ١ ص ٢٨٩).

[٢] ـ مادة دفع في القرآن الكريم:

تكرر ورود مادة «دفع» في القرآن الكريم في نحو عشر مرات[١] في مثل قول الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِن آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّه حَسِيباً﴾[٢].

إن لفظة ـ فادفعوا ـ في الآية الكريمة تفيد العطاء والرد لأموال اليتامى عند بلوغهم ونضجهم العقلي، ذلك أن رشدهم شرط في دفع أموالهم إليهم، ولقد حددت الآية الطريقة الشرعية لدفع أموالهم، محافظة على الحقوق ورعاية للمصالح، ودفعاً للريبة والظنون حتى لا تثار في المجتمع المسلم، وحماية لأنفس القائمين على أموال اليتامى أن تفتن بها، فتأخر دفعها أو تخفى منها شيئاً.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أو ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لأَتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٣].

إن لفظة ـ أو ادفعوا ـ في الآية الكريمة تتضمن الدعوة للمنافقين بالمشاركة في دفع المشركين وباطلهم، دفاعاً عن دين الله وإعلاء لكلمته، وقد أفاد دخول أو عليها التفريق بين القتال والدفاع،

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة دفع.

(٢) سورة النساء آية: (٦). (٣) سورة آل عمران آية: (١٦٧).

وأن الثاني دون الأول، والقرآن الكريم يحرضهم على المشاركة في أيسر مظاهرها، وكأن القرآن يهتف فيهم: إن خفتم أو فزعتم من القتل لأنكم ترجون الحياة الدنيا وتقدمونها على الآخرة، فلا أقل من أن تكثروا سواد المؤمنين أو أن تحموا ظهورهم[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[2] تثير لفظة (يُدافع) في الآية الكريمة دواعي الأمن والطمأنينة في قلوب المؤمنين، فالله سبحانه وتعالى يدافع عنهم وهو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم فلا ترهبهم كثرة عدد عدوهم وتنوع عدتهم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٍ * مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[4].

«وبعد هذا الإفتتاح الذي يقرر كلمة الفصل في موضوع العذاب، ووقوعه، ومستحقيه، ومصدره، وعلو هذا المصدر ورفعته،

---

(١) استبعد الإمام الألوسي إرادة هذا المعنى وإن كان ظاهر الآية يشير إليه «ومن كلامهم ـ أن لم تقاتل يا جبان فشجع ـ والمراد بالأتباع إما الذهاب للقتال ولم يعبروا به لأن ألسنتهم لكمال تثبط قلوبهم عنه لا تساعدهم على الإفصاح به، وأما الذهاب مع المؤمنين مطلقاً سواء كان للقتال أو للدفع وتكثير السواد، وحمله على امتثال الأمر أي لو كنا نعلم قتالاً لامتثلنا أمركم لا يخلو عن بعد «روح المعاني جـ ٤ ص ١١٨».

(٢) سورة الحج آية: (٣٨). (٣) سورة الطور آية: (٧، ٨).

(٤) سورة المعارج آية: (١، ٢).

مما يجعل قضاءه أمراً علوياً نافذاً لا مرد لـه ولا دافع، بعد ذلك أخذ في وصف ذلك اليوم الذي سيقع فيه العذاب».

لقـد تكرر ورود صيغـة دافع في الآيتين السـابقتين غير أنهـا لا تـدل فيهمـا على المعنى الـذي يقصـده علمـاء النفس في دراستهم للسلوك الإنساني، وقد استخدم القرآن الكريم ألفاظاً مناسبة لدوافـع السلوك الإنساني.

فلقـد تبين مما سبق أن مـادة (دفع) تـأتي بمعـانٍ كثيـرة تـدور أغلبها حول الحركة والدفع بقوة والعطاء والرد والحماية والحفظ وغير ذلك مما يعين على تعريف مناسب لدوافع السلوك الإنساني.

[٣] - تعريف الدوافع:

الدافع قوة نظرية كامنة تحض الإنسان على فعـل ما يجلب لـه المسرة واللذة أو يشبع حاجته الضـرورية، أو يـرد الخطر الـذي يعود عليه بالألم والحسرة.

وقد عرّف الدوافع الدكتور/محمد عثمان بجاني بأنها: «القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي وتبدىء السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة»[١].

وعرفه الدكتور/نبيل السمالوطي بأنه: «حالة داخلية، جسمية أو نفسية، فطرية أو مكتسبة، تثير السلوك وتحدد نوعيته واتجاهه وتسيـر به نحو تحقيق أهداف معينة من شأنها إرضاء جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية»[٢].

---

(١) القرآن وعلم النفس (ص ٢٣).

(٢) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (ص ٩٠).

أهمية الدوافع

تؤدي الدوافع وظيفة هامة للكائن الحي، وذلك أنها تعمل على استمرار الوظائف الفسيولوجية الضرورية لحفظ حياة الكائن ـ إنساناً أو حيواناً ـ وتمده بالطاقة اللازمة.

فالبدن في رحلته مع الحياة يستنفد كميات كبيرة من الطاقة أثناء العمل وغيره من أوجه النشاط الحركي والعقلي، كما أن مطالب النمو السريع في مرحلة المراهقة تستنفد هي الأخرى قدراً أكبر من الطاقة الموجودة في الجسم، وهذا يؤدي إلى تعطيل الوظائف الفسيولوجية المصاحبة للنمو ما لم يتم تزويد البدن بالقدر المناسب من الغذاء، لإعادة الجسم إلى مستوى الإتزان المفطور عليه.

يلاحظ المراهق في نفسه عظمة القدرة الإلهية التي خلقته بفطرة تتحرك ذاتياً وتلح في الحركة لتدفع الإنسان ـ مراهقاً ـ وشاباً ورجلاً ـ بطريقة تكاد تكون قسرية إذا لم يستجب لتلبية الدافع الفطري من إدراكه وشعوره بتسلطه عليه، ففي حالة اشتداد الجوع نجد المعدة في حركة دائمة وتحدث تقلصات واضطرابات لتنبه الفرد وتدفعه نحو عملية الإشباع، ليقوم بسد حاجة البدن وتعويضه عن المقدار الناقص من الغذاء، وإذا كان الدافع المراد إشباعه العطش فإن الفرد يشعر بجفاف في الحلق، يدفعه إلى تعويض البدن عما فقده من الماء ليعود إلى حالته الطبيعية المفطورة عليها، وعملية

إحداث الإتزان الداخلي تتم بصورة تكاد تكون آلية، لا دخل للشعور أو الإدراك الإنساني في توجيهها أو تحريكها.

«فكل سلوك يكمن وراءه دافع أو دوافع معينة تحركه وتستثيره وتوجهه نحو هدف معين، فما الذي جعل الرسول ﷺ يتحمل في صبر وثقة أذى الكفار الذي لا يمكن تصوره، وما الذي جعله يخاطر بحياته في سبيل نشر دعوته، وما الذي دعا كبار القادة الإسلاميين إلى التضحية بالنفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله.

إن الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، وتستطيع بنفس الأسلوب أن تتساءل: ما الذي يحدو بشخص إلى أن يسلك السلوك الإسلامي الفاضل، بينما يتجه آخر إلى الرذيلة والفسق والفجور، وما هو السبب في إقدام شخص على طلب العلم مع عزوف آخر عنه تماماً... هذه الأمور وغيرها من جوانب السلوك لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا بآفتراض وجود الدوافع ومحاولة فهمها ودراستها وتفسيرها.

ويمكن القول بأن موضوع الدوافع يهم الآباء والمربين وأصحاب المصانع... الخ ورجل الدعوة الإسلامية يريد أن يعرف نوعية الدوافع التي تحرك سلوك الناس وتوجههم في الحياة الإجتماعية، وكيفية إذكاء الدوافع الإيمانية، وكيفية تغيير الدوافع التي توجه الناس إلى كافة ألوان السلوك الإنحرافي، من أجل غرس الدوافع الإيمانية القائمة على حب الله وتوحيده وابتغاء مرضاته في كل سلوك وعمل»[1].

---

(١) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (ص ٨٨) ـ د/ نبيل محمد توفيق السمالوطي ـ دار الشروق ـ جدة.

أقسام الدوافع

قسم علماء النفس الدوافع إلى قسمين:

أولاً: الدوافع الفطرية (الأولية أو الفسيولوجية).

ثانياً: الدوافع المكتسبة (الثانوية أو النفسية)[1].

فالدوافع الفطرية: هي استعدادات طبيعية يولد الفرد مزوداً بها، وذلك كدافع الجوع والعطش والأمومة والجنس.

وهي دوافع تحقق التوازن لحاجات البدن الفسيولوجية، ذلك أن حركة البدن المستمرة في المراهقة وغيرها من مراحل العمر تستهلك كميات كبيرة من الطاقة ومن المواد الغذائية، مما يجعل البدن بحاجة دائمة إلى مواد غذائية تسد النقص الذي يطرأ على أنسجة الجسم ليبقى له اتزانه، وليستمر احتفاظه بكيانه، ليؤدي وظائفه التي تتطلبها طبيعة الحياة الإنسانية.

وأما الدوافع المكتسبة:فهي تشمل الدوافع النفسية والإجتماعية

---

(١) انظر القرآن الكريم وعلم النفس (ص ٢٣) وانظر الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ـ (ص ١٠٥).

obeikandl.com

والعقلية ويكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها، وهذه الدوافع ذات تأثير مباشر في شخصية المراهق.

هذا وتنقسم الدوافع الفطرية إلى قسمين أيضاً[1].

(١) - قسم موجه إلى حفظ الذات.

(٢) - قسم موجه إلى حفظ النوع.

وفيما يلي دراسة موجزة لكل منهما في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) انظر القرآن الكريم وعلم النفس (ص ٢٥).

obeikandl.com

أولاً: الدوافع الفطرية

أ ـ دوافع حفظ الذات

وهي الدوافع التي تحرك الإنسان وتحضه على السلوك الذي يحفظ حياة البدن وحيويته وسلامته من الخلل والفساد، ولقد خلق الله سبحانه الكون مسخراً لخدمة المخلوق الإنساني، وأودع فيه خصائص مباشرة وغير مباشرة لتلبية دوافعه الفطرية[1].

[١] ـ دوافع الجوع:

يستهلك الجسم قدراً كبيراً من السعرات الحرارية ومن الطاقة، والغذاء هو العامل الوحيد الذي يقوم بمد الجسم بحاجاته الضرورية، ولهذا يشعر الإنسان بحاجته إلى الطعام من وقت لآخر حسب حاجة الجسم وضروب النشاط الذي يمارسه، وتوفر الطبيعة التي سخرها الله سبحانه للإنسان حاجته من الأغذية المختلفة ذات الخصائص والطعوم المتباينة.

---

(١) خصائص مباشرة: نباتات وثمار وحشائش برية بفعل الطبيعة المسخرة إذا ما نزل عليها المطر وحيوانات وطيور برية لا يقوم الإنسان بتربيتها وتغذيتها.

خصائص غير مباشرة: الزروع والنباتات والحيوانات والطيور التي يعنى بها الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

تشتمل الآية الكريمة على أمهات النعم التي تشهد بوحدانية الله وعظيم قدرته، فالسماء بناء قوى متين محفوظ إلى يوم الدين، والأرض مبسوطة ممهدة مترامية الأطراف مملؤة بالنعم والأرزاق، والماء النازل من السماء يؤدي للإنسان وظائف متعددة، يروى ظمأه إذا عطش، وينزل على الأرض الميتة فيحييها بالنبات، فتصير مخضرة بأنواع الزروع والثمار، لتؤدي وظيفة حيوية للإنسان، ولما خلق الله من الأنعام، فيجد الإنسان في كل ذلك ما يسد به جوعه، ليخفض التوتر الناشيء عن النقص الحادث في الجسم والدم، بسبب عمليات الهدم والبناء الداخلية (الفسيولوجية) فوظيفة الطعام الأساسية مد الجسم بحاجته من الغذاء وخفض التوتر وإعادة الجسم إلى مستوى التوازن الذي فطره الله عليه.

«يعتبر هذا الدافع من أهم الدوافع البيولوجية الضرورية لحياة الإنسان لذلك فلقد خضعت لخضم هائل من الدراسات العلمية ومن البحوث التي أجريت لتبيان أثر افتقار الجسم إلى الطعام، بحث أجري على مجموعة من الشبان الأصحاء. فقد غذى أفراد هذه المجموعة تغذية جيدة لمدة ثلاثة أشهر، أعقبها فترة ستة أشهر من

---

(١) سورة المؤمنون آية: (٢١). (٢) سورة البقرة آية: (٢٢).

الصوم اعتمدوا فيها على أقل القليل من الطعام الذي يكاد يسد رمقهم، وقد وصفوا حالاتهم أثناء فترة الستة أشهر من الصوم بعدم القدرة على ضبط النفس وكبح جماح الغضب والتردد والقلق والحساسية الزائدة وعدم القدرة على تركيز الإنتباه.

يتضح من ذلك أثر افتقار الدم إلى المواد الغذائية في دافع الجوع، ومن ثم يضعف الجسم ولا يستطيع القيام بوظائفه الحيوية المعتادة[1].

إن إبراهيم عليه السلام قد قدر أهمية الطعام بالنسبة للإنسان وضرورته لاستمرار حياته، لذا توجه إلى الله سبحانه بالدعاء والرجاء طمعاً وخوفاً، بعد أن ترك فلذة كبده إسماعيل وهو طفل في مهده ومعه أمه، وقد خلّف لهما بعض الطعام والشراب، وأن طبيعة البقعة الطاهرة التي أمره الله أن يتركهما فيها لا زرع فيها ولا ماء فتوجه إلى الله بالدعاء طمعاً في أن ينزل عليهم رزقه وأن يؤمنهم من المخاوف.

قال الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[2].

فكان من رحمة الله تعالى أن تقبل دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، فأكرم أهل هذه المنطقة بوفرة الرزق واستقرار الأمن حتى في الأزمان التي ضعفوا فيها عن حماية البيت الحرام.

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً**

---

(١) قراءات في علم النفس (ص ١٣٩). (٢) سورة إبراهيم آية: (٣٧).

مِنْ لُدُناً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ويقرر القرآن الكريم الاعتدال في تناول الطعام والشراب في أكثر من موضع في الذكر الحكيم، ليحول دون الإنحراف في إشباع الفرد لدوافعه الفطرية، تحقيقاً للمصلحة وحفاظاً على الصحة، فلا يطلق الإشباع بغير حدود ولا ضوابط حيث يؤدي الإسراف إلى الأضرار بالبدن، لما ينشأ عن التخمة، كما يثقل على المعدة ويضطرها للحركة الزائدة غير المتناسبة مع طاقتها، وإذا ما تكرر ذلك ضعفت المعدة عن القيام بوظيفتها غالباً، فتضطرب لذلك مسيرة الوظائف الفسيولوجية عامة، ويتعرض البدن للإصابة بالأمراض التي تفقده قوته وحيويته واتزانه.

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2].

كما يقرر القرآن الكريم أن الطرف المقابل للإسراف ـ وهو الإمساك والتقتير ـ مذموم شرعاً، لما يترتب عليه من المضار المادية، كالضعف والخمول والهزال، ومضار روحية لعدم ظهور نعمة الله على عبده الممسك الشحيح على نفسه وعياله، وأنه على ذوي الحاجات من الضعفاء والمساكين لأشد إمساكاً.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[3].

يقرر القرآن الكريم أن الإعتدال والتوازن قاعدة أساسية يجب

---

(١) سورة القصص آية: (٥٧).
(٢) سورة الأعراف آية: (٣١).
(٣) سورة الإسراء آية: (٢٩).

على المسلم ـ مراهقاً وشاباً ورجلاً وشيخاً ـ أن يلتزمه أثناء سلوكه لإشباع دوافعه.

[٢] ـ دافع العطش:

يدخل الماء في تركيب جسم الكائن الحي، ونقص الماء في الجسم يؤدي إلى الجفاف، فيشعر الإنسان بالظمأ ويسعى في طلب الماء ليعيد للجسم توازنه، وفي حالة اشتداد العطش يحسب الظمآن السراب ماء، ولما كان الماء ضرورياً لبناء الجسم وعاملاً أساسياً في اتزانه، فقد شاءت إرادة الله أن تصل نسبة الماء إلى ٧١ ٪ من سطح الأرض ويابس يتمثل في القارات ويغطي نحو ٢٩ ٪ من سطح الأرض[١].

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾[٣].

هكذا نجد أن رحمة الله سبحانه تحيط بالإنسان من كل جانب، حيثما اتجه وأينما حل، تحقق له إشباع دوافعه التي يستحيل أن يعيش بدون إشباع لها، وهو في كل حالاته لا يملك من أمر الماء شيئاً، فلو جعله الله ملحاً أجاجاً لما استطاع أين يصيره عذباً صالحاً

---

(١) انظر المدخل إلى علم الجغرافيا (ص ٢٠٢) د/محمد محمود محمدين ـ د/طه عثمان الفرا.

(٢) سورة الواقعة آية: (٦٨، ٧٠). (٣) سورة السجدة آية: (٢٧).

للشرب والريّ، وفي حالات الإبتلاء بنقص القوت والماء إذا برحمة الله تلوح في الأفق، فإذا الرياح تحمل السحاب، وإذا الماء ينزل من السماء، وإذا الأرض تصبح مخضرة بالأعشاب والثمار، وتنساب الحياة والنماء في أرجائها، كما تنساب الحياة والري في عروق الظمآن حين يجد الماء البارد العذب فيشبع دافع العطش.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾(١).

[٣] - دافع الراحة:

يعلم الله سبحانه ضعف الإنسان، وأنه ذو قدرات محدودة، وأنه بطبيعة تكوينه عاجز عن أن يدأب على الحركة، فمن الله عليه بوسائل السكون بعد الحركة، ليستريح ويستجم وليستعيد قواه استعداداً للحركة في اليوم التالي، فجعل الله الليل محلاً للراحة والسكون وجعل النهار مبصراً محلاً للعمل والكدح.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢).

ولما كان الإنسان هلوعاً بطبيعته، تفزعه المفاجآت، وإنه لا يعتاد عليها مهما تكررت، فقد شاء الله سبحانه أن يخلق الليل

---

(١) سورة فاطر آية: (٩).
(٢) سورة القصص الآيات: (٧١، ٧٣).

والنهار على فطرة تلبي نداءات هذه الطبيعة في تعاقبهما، فيطلب الليل النهار حثيثاً بأن يرسل خيوط الظلام من بعد غروب الشمس، وكذا النهار إذ يطلب الليل فيرسل في الفجر خيوطه بالضوء شيئاً فشيئاً، استعداداً وإعلاناً عن شروق الشمس بأشعتها ودفئها.

قال الله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾[1].

«ففي هذه الآية إشارة إلى ثلاثة دوافع هامة من دوافع حفظ الذات وهي دوافع الجوع والعطش وتجنب الحرارة (وكذلك البرودة) المفرطة»[2].

[٤] ـ اتقاء الحرارة والبرودة:

الحرارة والبرودة أمران ضروريان لبقاء الإنسان واستمرار حياته، ومن بديع صنع الله تعالى أن فطر أجهزة البدن الداخلية بخصائص تعمل متضامنة لحفظ درجة حرارته، دون أن يتأثر بظروف البيئة الخارجية، كبرودة الجو أو حرارته، مهما انخفضت الأولى أو ارتفعت الثانية، فدرجة حرارة البدن ثابتة كما هي في الحالات العادية على درجة ٣٧° مئوية، وعن طريق درجة حرارة البدن يظهر للأطباء حالة البدن إن كانت طبيعية أو غير طبيعية.

فارتفاع حرارة الجو تجعل البدن يفرز العرق لكي تنخفض درجة حرارته كي لا ترتفع عن معدل الإتزان، وكذلك في حالة البرودة الشديدة يستهلك البدن قدراً كبيراً من الطاقة الحرارية

---

(١) سورة طه الآيات: (١١٧، ١١٩). (٢) القرآن وعلم النفس (ص ٢٦).

للمحافظة على توازن درجة حرارته.

وقد هدى الله الإنسان إلى وسائل اتقاء الحرارة والبرودة، فقال تعالى: ﴿**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ * وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾[1].

تشتمل الآيات على صنوف من النعم، فقد **جعل** الله البيوت **سكناً** وطمأنينة يفيء إليها أصحابها فيستريحون من عناء العمل والسعي على المعاش ويحتمون بها من حرارة الشمس وزمهريرة الشتاء، ويستترون بها فلا تتبدى العورات ـ عورات الأثاث والطعام وغيرها ـ كي لا تنحرج نفوسهم، وقد **جعل** الله لكل شيء على الأرض ظلاً تفيء إليه الكائنات الحية ـ وفي مقدمتها الإنسان ـ إذا ما اشتدت حرارة الشمس، وهدى الله الإنسان إلى الإستفادة من جلود الأنعام وأوبارها وأشعارها، ليعد منها الأثاث الخفيف الذي تتعدد وظائفه للوقاية من الحرارة والبرد في الحل والترحال، كما جعل سبحانه وتعالى في الجبال أكناناً يحتمي بها الإنسان في أسفاره يستتر فيها ويستظل بها، ولما كان الظل ضرورياً للإنسان وغيره من الكائنات الحية فقد عنيت كتب الفقه الإسلامي ببيان أحكامه، حيث يحرم على الفرد أن يقضي حاجته تحت شجرة مثمرة، كي لا يفسد ثمرها إذا ما سقط على الأرض لا مكان إصابته بالنجاسة، كما يحرم

---

(١) سورة النحل الآيات: (٨٠، ٨١).

قضاء الحاجة تحة شجرة لا تثمر أصلاً ليستظل بها.

[٥] ـ اتقاء الألم:

الشعور بالألم أمر عام في سائر البشر وهذا ما يجعل القول بفطريته مقبولاً، وقد أشار القرآن الكريم إلى الألم بنوعيه ـ البدني والنفسي ـ البدني ويشمل ما يصيب الإنسان من آلام وأمراض وإصابات في حياته الدنيا، كما يشمل ما يتعرض له المنافقون والكافرون وعصاة المسلمين من العذاب الأليم في القبر ويوم القيامة يصيبهم أشد العذاب.

لقد شرع الله سبحانه الحدود لكبح جماح النفس المتوثبة بالشر، فالإنسان السوي ينأى نفسه عن المواقف التي تسبب له الألم البدني والنفسي أو أحدهما، والحدود التي شرعها الله تعالى يتحقق فيها الألم بنوعيه لمن يقترف ما يوجبهما.

ففي حالة القصاص من الجاني على النفس التي حرم الله الإعتداء عليها، فيحكم الشرع بالقصاص ضرباً لعنقه أمام طائفة من المؤمنين، حفاظاً لأمن المجتمع المسلم واستقراره.

وفي الإعتداء على العرض يقتل المحصن ـ الذي سبق له الزواج ـ ويجلد غير المحصن مائة جلدة وتغريب عام للزاني دون الزانية حفاظاً عليها من التعرض للفتنة ثانية.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة آية: (١٧٩).

وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تؤمنون بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فالألم المادي متمثل في ضرب العنق والجلد، والألم النفسي متمثل في شهود طائفة من المؤمنين، وفي ذلك ما يدفع المسلم لإتقاء الألم المادي والنفسي بالبعد عما يوجبهما في الدنيا والآخرة.

لقد أشار القرآن الكريم إلى الألم النفسي الذي يعانيه أنبياء الله ورسله الأكرمون، بسبب تكذيب قومهم لهم وجحودهم لرسالات ربهم.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِيْ الْمُرْسَلِينَ﴾[2].

لقد تحمل أنبياء الله ورسله ألواناً من الألم البدني والنفسي، وخاصة خاتمهم محمداً ﷺ الذي صبر على أذى قومه في مكة وما حولها وما شق عليه منه شيء بمثل ما شق عليه تكذيبهم لرسالته رحمة منه وحرصاً على مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد أنزل الله الآيات لتسلية رسول ﷺ، ولإخباره بسنة الله تعالى في رسالات الحق، وللإعلام بمستقبل الدعوة وأوليائها.

كما أشار القرآن الكريم إلى الألم النفسي الذي يعانيه المؤمنون حين يتعرضون للسخرية والإستهزاء من الكافرين الذين لا

---

(١) سورة النور آية: (٢).
(٢) سورة الأنعام الآيات: (٣٣).

خلاق لهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١).

إن صبر المؤمنين على أذى الكافرين والمنافقين، وعدم التفاتهم إلى استهتارهم وسخريتهم واستهزاءاتهم بهم يكسبهم الجولة النهائية في الدنيا والآخرة حين يُرد الجميع إلى الله رب العالمين، فينادى الكافرون اخسؤوا فيها ولا تكلمون.

«لم يكن جرمكم أنكم كفرتم فحسب، واقتصرتم على أنفسكم بالكفر وهو جرم عظيم، إنما بلغ بكم السفه والتوقح أن تسخروا ممن آمنوا، وراحوا يرجون غفران ربهم ورحمته، وأن تضحكوا منهم حتى ليشغلكم هذا العذر عن ذكر الله. ويباعد بينكم وبين التفكر والتدبر في دلائل الإيمان، فانظروا اليوم أين مكانكم ومكان أولئك الذين كنتم تسخرون منهم وتضحكون».

إن الكافرين والمنافقين لن يصبروا على الألم النابح في أبدانهم حين ينصر الله المؤمنين في الدنيا، ولسوف تذوب قلوبهم كمداً وحسرة من نصر الله إذ ينصر عباده، وكان الأجدر بهم أن يلبوا داعي اتقاء الألم، بأن يؤمنوا بالله وحده ويحذروا معصيته ويكفوا أيديهم وألسنتهم عن المؤمنين.

---

(١) سورة المؤمنون الآيات: (١٠٩، ١١١).

ب ـ دوافع بقاء النوع

[١] ـ الدافع الجنسي:

يلعب الدافع الجنسي دوراً هاماً في حياتنا الإجتماعية وفي صحتنا النفسية ويبدأ هذا الدور مع مرحلة المراهقة، حيث يشعر المراهق بفاعلية الدافع الجنسي، والرغبة في تلبيته بالإتصال الجنسي، وهذا الشعور ناشىء عن نشاط الغدد الجنسية في فترة النمو السريع وظهور هذا الدافع لا يعني اكتمال نضج المراهق وقدرته على الإنجاب ولا يقدر على إنشاء بيت وإقامة أسرة.

لقد شرع الإسلام الزواج لينظم به تلبية الدافع الجنسي في كيان الرجل والمرأة، وأحله الله دون غيره من الروافد التي يمكن أن يلبى عن طريقها، ليحقق بالزواج الغاية التي أرادها الله سبحانه من خلق الإنسان مزوداً بهذا الدافع، وهي امتداد بقاء النوع الإنساني.

إن الإسلام وهو يدعو إلى تلبية الدافع الجنسي بالطريق المشروع لا يلبيه لذاته دون عناية مماثلة للغاية المنشودة منه، وهي إنشاء بيت وإقامة أسرة لحضانة الذرية، وهذه الغاية لا تتم تلقائياً بل بنظام معين، وداخل إطار يحتم إشتراك الرجل والمرأة فيه، وهو نظام الأبوة والأمومة، الذي يكون بين ذكر وأنثى يتم بينهما الإرتباط بميثاق

الله وعهده، وحفظ هذا النظام وحمايته ورعايته والقيام على جميع متطلباته المادية والمعنوية أعباء عظام لا تتناسب مع إمكانات المراهق واستعداداته، حتى الحالات النادرة التي تتحمل فيها أسرة المراهق كافة الأعباء المالية التي يتطلبها هذا النظام، فإن استعدادات المراهق النفسية وقدراته العقلية ترهقها الجوانب الأخرى التي يتطلبها نظام الأسرة في الإسلام.

روى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهله، ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته»[1].

إن السلطة المنزلية تأتي في المقام الأول من مسؤوليات الأب التربوية، وأقوى الإحتمالات في ظني أن يُسيء المراهق استخدامها بالميل إلى أحد الطرفين أو التردد بينهما، فينعدم السلوك المتزن في البيت، وذلك أن المراهق بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيده إلى بر الأمان، ويبصره بالواجب، ويعينه على هداية نفسه وتربيتها على المنهج الإسلامي الصحيح، وهذه قضية مسلمة لا خلاف فيها بين علماء الإسلام وعلماء التربية وعلم النفس، فالجميع يقرر حاجة المراهق إلى الملاحظة والمتابعة والتوجيه بالأسلوب المناسب لسنه ومستواه النمائي.

إن الزواج ميثاق وعهد عظيم الشأن قد لا يقدره المراهق حق قدره.

---

(١) صحيح الإمام البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب ـ المرأة راعية في بيت زوجها.

قال الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾(١).

وليكون الإرتباط قوياً ملزماً، وجب أن يكون الزوج راشداً والزوجة كذلك لينهض كل منهما بواجباته نحو الآخر ولتتلاقى مصالحهما ولتتجاذب قلوبهما، فيتجه كل منهما إلى ما أسند إليه، فيعنى الرجل بحاجات الأسرة وصونها وحمايتها وهدايتها إلى سبيل ربها، وتعنى الزوجة بتربية أولادها ورعايتهم وهدايتهم وغير ذلك من واجباتها المنزلية، ولما كانت الأبوة والأمومة تكليفاً وتحمل أعباء، فقد فطر الإنسان مزوداً بالدافع الجنسي، وهو دافع ذو قوة تتطلب الإشباع، كما فطر الإنسان برغبة ملحة لطلب الذرية، لتكون هذه العوامل دافعة للإنسان ـ رجلاً وامرأة ـ لإنشاء بيت وإقامة أسرة تحقيقاً للغاية، ولتكون هذه العوامل المركوزة في الفطرة مساعدة على تحمل المشاق التي يكابدها كل من الرجل والمرأة في سبيل تربية الأبناء، وقد انطلقت نداءات الفطرة إلى الله رغبة ورهبة تدعوه سبحانه أن يهبها الذرية، فقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٢).

إن الإسلام يعترف بفطرية الدافع الجنسي، ويقدر قوته وفاعليته وتأثيره على سلوك الرجل والمرأة، ومن ثم فهو لا يستقذره ولا يستحقره، ويحرم الوسائل التي تقضي عليه أو تضعفه، وينظم له الجو الأمثل لتلبيته التي يتحقق معها في الغالب الغاية المنوطة به،

---

(١) سورة النساء آية: (٢١).
(٢) سورة الأنبياء الآيتان: (٨٩، ٩٠).

وهي إنجاب الذرية.

لذلك فإن رسول الله ﷺ قد عالج الحالات الفردية حين أعلن بعض المسلمين عزمهم في العزوف عن النكاح والتفرغ للعبادة، وقد حاول آخرون التخلص الكلي من الدافع الجنسي، كما نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم لأن ذلك يضعف البدن، ويضعف تباعاً له فاعلية الدافع الجنسي وإن كان الدافع إلى ذلك السلوك الرغبة في الإكثار من أنواع العبادات.

روى الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الإختصاء وحث على تيسير أسباب الزواج روى الإمام البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»[2].

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح.

(٢) المصدر السابق ـ باب ما يكره من التبتل.

إن الإختصاء يؤدي إلى التخلص من الدافع الجنسي، ويرى علماء الجنس التفريق بين الإختصاء قبل البلوغ وبعده، وعلى كلٍ فإن المنهج الإسلامي يحرم الإختصاء، ويحرض على الزواج ويحث الأمة على تيسير أسبابه.

«وهناك كثير من الأدلة أيضاً على أن للهرمونات الجنسية تأثير هام في الدافع الجنسي عند الإنسان، فإذا استؤصل المبيضان عند طفلة صغيرة فإن نشاطها الجنسي لا يظهر فيما بعد، وكذلك إذا أخصى طفل صغير تعطل ظهور نشاطه الجنسي فيما بعد ولكن إذا أخصى الرجل بعد البلوغ فقد تضعف رغبته الجنسية، ولكن الشعور بالدافع الجنسي والقدرة على الإتصال الجنسي قد يستمران بعد ذلك مدة طويلة»[1].

لا شك في أن الإختصاء ذو تأثير سلبي على الدافع الجنسي، وأن خطورته موقوفة على طبيعة إجراء عملية الإختصاء، فقد يصل التأثير إلى القضاء التام على الدافع الجنسي، وليس من شك في أن الإختصاء يؤدي إلى إضعاف فاعلية الدافع الجنسي، فإضعافه كافٍ في التحريم لما فيه من الإعتداء المباشر على الفطرة في خاصية من أهم خصائصها.

وقد أرشد رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يراعي جانب الإعتدال في عبادته، ليحفظ على جسده قوته وصحته وسلامته وليشبع الدافع الجنسي عند زوجته، وقد كان عبد الله رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل، حتى علم بذلك رسول الله فنهاه.

---

(١) علم النفس في حياتنا اليومية (ص ٨٣) ـ د/محمد عثمان نجاتي.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ يا عبد الله ألم أخبر بأنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً»[1].

إن الإسلام لا يكبت الدوافع الفطرية ولا يقبل إضعافها، إنما ينظم تلبيتها بالطريق الطبيعي، وطريق تلبية الدافع الجنسي الزواج الذي يتم بين الرجل وامرأة ـ راشدين فيلبي أحدهما الدافع الجنسي مع صاحبه، ويرعيا معاً مصالح الأسرة وتربية أولادهما والإرتقاء بهم، وعلى الأمة المسلمة أن تساعد المراهق في الحفاظ على الدافع الجنسي، دون تعريض للإثارة المصطنعة التي تساهم أجهزة الإعلام في تأجيجها في المسلسلات والرقصات.

[٢] ـ دافع الأمومة:

إن الله سبحانه وتعالى خلق الذكر والأنثى من نفس واحدة، وجعل في طبيعتها خصائص جنسية مشتركة، وأخرى نوعية للذكر منها ما ليس للأنثى، ليتحقق الغرض من الزوجية ألا وهو التكاثر وامتداد النوع الإنساني، وهو القانون الذي جعله الله سبحانه عاماً في كل المخلوقات التي من شأنها التكاثر.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب النكاح باب: لزوجك عليك حقا.
(٢) سورة الذاريات آية: (٤٩).

والخصائص النوعية في الرجل لا تحقق له شأناً أرقى في الإنسانية، فالرجل والمرأة على درجة واحدة في الجانب الإنساني، وما خصائصهما النوعية إلا سنة اقتضتها طبيعة الزوجية، فهي لا تؤدي وظيفتها إلا بها.

إن من أظهر خصائص المرأة النوعية أن لها النصيب الأوفى من ملكات الحب والحنان والرحمة والشفقة ورقة القلب ووداعته وقوة العاطفة ولين الجانب وهدوء الطبع، وهذه الخصائص ضرورية لوظيفة الأمومة، ذلك أنها لا تبدأ من فراغ، وأن قواعدها وأصولها تبقى مثالية ما لم تجد الأم التي تتحلى بهذه الصفات وتطبقها في واقع الحياة.

« من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد أيضاً في طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيئوها للقيام برسالتها الهامة في الإنجاب لبقاء النوع، فهي تتحمل مشاق الحمل والولادة عن رضا، وتقوم بإرضاع الطفل ورعايته والحنو عليه حتى ينمو ويصبح قادراً على العناية بنفسه»[1].

الأم هي الكائن الوحيد الذي فطره الله سبحانه مزوداً بدافع الأمومة، ليكون عاملاً أساسياً لتحقيق هذه الوظيفة في واقع الحياة، على الرغم من تبعاتها البيولوجية والنفسية والإجتماعية، ولهذا فإن ارتباط الأم بوليدها أقوى الروابط، فيريحها ويسرها قربها منه، ويشقيها ويضنيها بعدها عنه.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ**

---

(١) القرآن وعلم النفس (ص ٣٦).

عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

تشتمل الآيات على المشاعر الرقيقة والأحاسيس التي يذخر بها قلب الأم، فلما استجابت للوحي فألقته في اليم تَبَدّى قلبها فارغاً، فعادت باللوم على نفسها كيف تلقي فلذة كبدها في البحر بين الأمواج والحيتان، فلما نفذ صبرها على فراقه وهمّت أن تنشده ربط الله على قلبها، وبث في نفسها الطمأنينة عليه، وأبعد عن قلبها الحذر والخوف، فلما رده الله إلى حضنها باتت قريرة العين هادئة النفس مطمئنة على مستقبله وعلمت أن وعد الله حق.

---

(١) سورة القصص آية: (٧).
(٢) سورة القصص آية: (١٠).
(٣) سورة القصص آية: (١٣).

ثانياً: الدوافع المكتسبة
(النفسية أو الإجتماعية)

القسم الثاني من دوافع السلوك الإنساني هي الدوافع التي يكتسبها المراهق خلال تفاعله في البيئة الإجتماعية التي يعيش فيها، وهذا النوع من الدوافع يصطبغ بالأنماط السلوكية السائدة في المجتمع، عدا الحالات التي تنزع إلى أنماط سلوكية لا تقرها قوانين وعادات وأعراف المجتمع، ووجود هذه الحالات راجع إلى إهمال التربية أو اضطراب أصولها، وهذا ما يعاني منه كثير من المجتمعات الإسلامية التي مزجت بين أصول التربية الإسلامية والتربية الغربية، وهو مزج غير مؤتلف لا ينتج عنه غير الإضطراب والإنحراف السلوكي، كما أن وسائل الإعلام تغذي الأخير وتمده بعوامل وجوده، خاصة الأنماط السلوكية بين الجنسين.

إن استقامة سلوك الفرد والجماعة في العلاقات الإجتماعية مرهون بتنقية أصول التربية الحديثة من كل غريب لا يتناسب مع دين الله وشرعه، وأن تتخذ الوسائل المعنية لتحقيق التطابق بين منهج الإسلام التربوي والسلوك الإجتماعي والأخلاقي لأفراد المجتمع المسلم في حياتهم اليومية.

إن الدوافع المكتسبة تكثر وتتنوع وتتمايز من عصر لعصر ومن

مجتمع لآخر، تبعاً لظروف الحياة الإجتماعية والمادية المتطورة، مما ينشأ عنه استحداث دوافع جديدة ليتكيف الفرد مع مظاهر بيئته، وفيما يلي دراسة لبعض هذه الدوافع مما له أهمية خاصة في حياة المراهق خاصة والإنسان بصفة عامة.

[١] ـ دوافع الحب والحنان:

إن دافع الحب والحنان ذو جذور عميقة في طبيعة الإنسان، وله تأثير كبير في صحته النفسية وسلوكه الإجتماعي.

قال الله تعالى: ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[1].

فالمحبة التي نشرها الله على موسى بأن ألقى محبته في قلب كل من رآه أو جاوره، ليعيش موسى عليه السلام في جو هادىء مملؤ بالمحبة والمودة والعطف والحنان.

إن المراهق المسلم ككائن بشري يحتاج إلى الحب والحنان، ومشاعره الفياضة في هذه المرحلة النمائية تفيض بالحب والحنان لكل أفراد المجتمع، وفي مقدمة من يحبهم الأب والأم وجميع أفراد الأسر ثم المجتمع المسلم.

إن هذه المشاعر الرقيقة تحتاج من البيئة الأسرية والإجتماعية تغذيتها بالغذاء المناسب التي تتطلبه هذه المرحلة.

إن عدم قيام الأسرة بواجبها نحو إشباع دافع الحب والحنان

---

(١) سورة طه آية: (٣٨، ٣٩).

لدى المراهق يؤدي به إلى الشعور بالإحباط، فلا شيء أقسى على نفسية المراهق من الشعور بالإهمال وعدم العطف والمودة والحنان.

إن المراهق المسلم يمكنه إشباع دافع الحب بطاعته ومحبته لله سبحانه ولرسوله ﷺ، وبسلوكه الهادىء ومودته لأفراد أسرته وأفراد مجتمعه المسلم، حتى يكسب حبهم ومودتهم وتسود بينه وبينهم الألفة.

[٢] ـ دافع الولاء للمجتمع المسلم:

إن دافع الإنتماء أحد مظاهر السلوك الإجتماعي للإنسان في جميع مراحل حياته، وإن اختلف مستوى فاعليته من مرحلة إلى أخرى، وإنه في مرحلة المراهقة لأظهر وأوضح، حيث يشتد ميل المراهق للسلوك الجماعي، وتقوى لديه الرغبة في الإنسجام مع مجتمع الراشدين، وحين يجد منهم تقبلاً لدوره فإنه يضاعف من جهوده في الأعمال الإجتماعية.

إن مناهج التربية الحديثة يجب عليها أن تعمل على استغلال هذا الدافع لتعميق ولاء المراهق لأسرته ووطنه ومجتمعه المسلم، مستفيدة بما أرشد إليه رسول الله ﷺ من ضرورة الولاء التام بين أفراد المجتمع المسلم.

روى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[1].

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب البر ـ باب ـ تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

إن الفرد الذي يضعف أو ينعدم ولاؤه لأسرته ومجتمعه عضو فاسد يضر بنفسه، ويتعدى ضرره إلى أفراد مجتمعه، لتداخل الإرتباطات والمعاملات بين أفراد المجتمع حيث لا يستطيع فرد أن يعيش بمعزل عن أفراد مجتمعه.

«إن الإنتماء إلى أسرة الإسلام يجعل المؤمن مسؤولاً مسؤولية كاملة عن أمن أخيه المؤمن وسلامته كما يدفع عنه الغيبة، وهذا هو جوهر ما يهدف إليه الدافع إلى الإنتماء»(١).

[٣] - الدافع إلى تحمل المسؤولية:

تتقرر مسؤولية المراهق المسلم عن أعماله من حين ظهور علامات البلوغ، فيصبح مسؤولاً عن إيمانه وعن العبادات التي فرضها الله سبحانه، وعن خلقه وسلوكه الإجتماعي وبالجملة فإنه يصبح مسؤولاً عن كل سلوك ظاهر أو مستتر نفسي أو إجتماعي، وهي مسؤولية ضخمة عظيمة، وهي مع ضخامتها لا تعنى أنها لا تتناسب مع قدرات الفرد واحتماله، بل إنها مسؤولية مقترنة بقدراته وإمكاناته واستعداداته التي أعطاها الله إياها، فلا تزيد التكاليف عن طاقات الفرد فيكل، أو عن احتماله فيمل.

قال الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(٢).

---

(١) قراءات في علم النفس (ص ١٥٠). (٢) سورة البقرة آية: (٢٨٦).

إن المراهق المسلم وهو يؤدي العبادات التي فرضها عليه ربه، وألزمه القيام بها على وجهها المطلوب بالصفة المبينة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يطمئن إلى أن هذه الفرائض داخلة تحت طاقته واحتماله، وأن الله تعالى لا يكلفه من أمره عسراً حتى «لا يضيق بها صدراً، ولا يستثقلها كذلك، وأن يؤمن أن الله الذي فرضها أعلم بحقيقة طاقته، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه، ومن شأن هذا التصور أن يستجيش عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه، وهو يحس أنها داخلة في طوقه، ولو لم تكن ما كتبها عليه، فإذا ضعف مرة أو تعب مرة أو ثقل العبء عليه، أدرك أنه الضعف لا فداحة العبء واستجاش عزيمته ونفض الضعف عن نفسه وهم همة جديدة للوفاء».

[٤] ـ دافع التملك:

دافع التملك يتعلمه المراهق من خلال احتكاكه بالبيئة الإجتماعية ونوع الثقافة السائدة فيها، ويتعلمه من واقع التربية الأسرية وقد يتعلمه بخبرته الشخصية بما يواجهه من ظروف تساعده على قضاء حاجات مقارنة بظروف أخرى حيل بينه وبين ما يرغبه.

لقد بَيّن القرآن الكريم أن التملك يشعر الإنسان بالأمن وعدم الخوف من الفقر فالمال عصب الحياة، وأهم العوامل التي تثير في الإنسان دواعي السرور والراحة وغير ذلك من دوافع النفس ورغائبها، وللقرآن الكريم طريقته المتميزة وهو يقر الإنسان على دوافعه النفسية، فيذكره بالآخرة كي لا يطغيه متاع الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾(٢).

فالملكية الفردية حق طبيعي لكل إنسان هكذا يقرر الإسلام في كتابه القرآن، وأن الملكية في التشريع الإسلامي مشروطة بالكثير من الشروط التي تجعلها من أهم العوامل المؤدية للأمن والإستقرار والتحضر الإجتماعي، ومن أهم هذه الشروط، تحديد الإسلام لطرق الكسب الحلال، وتقرير العقوبات على أنواع الكسب الحرام، والدعوة إلى الكثير من مجالات البر، كالزكاة الواجبة والصدقة والهدية والهبة، كما وضع التشريع الضوابط اللازمة لعدم صيرورة المال دولة بين الأغنياء كي لا يحرم الفقراء من الحصول على الضروري منه.

إن المراهق المسلم الذي حسنت تربيته لا يجعل المال هدفاً أساسياً في الحياة إنما يتخذه وسيلة تعينه على تحقيق مطالبه الطبيعية، فهو لهذا يعف عما في أيدي الناس، وأنه يجود مما في ذات يده على الضعفاء والمساكين.

«وقد ذهب بعض علماء النفس مثل ماكروجل إلى اعتبار التملك غريزة، غير أن الدراسات الأنثرويولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي القائل بأن التملك غريزة، وهي تميل إلى

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٤). (٢) سورة الكهف آية: (٤٦).

اعتباره دافعاً نفسياً مكتسباً، وليس من الضروري أن تستنتج من وسوسة الشيطان لآدم بأنه سيد له على (ملك لا يبلى) أن دافع التملك فطري أو غريزي عند آدم وأبنائه، فمن الممكن أن نفهم أيضاً من ذلك أن إبليس حاول أن يثير في نفس آدم دافعاً لم يكن موجوداً لديه بالفعل في ذلك الوقت، وبذلك يكون آدم قد تعلم دافع التملك عن طريق إيحاء إبليس له وتأثيره فيه»[1].

«ولشيوع دافع التملك عند كثير من المجتمعات الإنسانية والحيوانية، فقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بوجود (غريزة التملك) غير أن الدراسات الأنثروبولوجينية لا تؤيد هذا الرأي، فقد وجدت مجتمعات أخرى كثيرة لا يظهر فيها دافع التملك بوضوح، فقد ذكر (ريفرز) في دراسته لأهالي جزر (الميلانيزيا) أن الملكية الفردية لا تظهر بينهم بوضوح، فالأرض والمحاصيل الزراعية والقوارب ومنتجات الصيد تعتبر ملكاً للأهالي جميعهم وتقسم بينهم تبعاً لقواعد خاصة... وليس الأفراد في هذا المجتمع في حاجة إلى إدخار الثروة خشية الفقر أو الشيخوخة، ففي وسع كل فرد أن يجد نصيباً من صيد الآخرين، كما يلقى الشيوخ كل عناية ورعاية»[2].

إن الإسلام قد سن التعاون على البر كأساس لمواجهة ظروف الحياة العادية والتي تطرأ من حين لآخر، ولقد ضرب المسلمون مثلاً فريداً في مظهر المؤاخاة التي جمع بها رسول الله ﷺ بين كل أخوين مسلمين، أحدهما من المهاجرين وثانيهما من الأنصار، فتقاسموا بذلك أعباء الحياة ورغائبها، وقاسم الأنصار إخوانهم المهاجرين

---

(١) القرآن وعلم النفس (ص ٤٠).

(٢) علم النفس في حياتنا اليومية (ص ٨٠).

وضربوا أروع الأمثال في المودة والإيثار، وضرب المهاجرون أروع الأمثال في العفة والزهد، والجديد في هذا الموقف أنه لم يكن معتاداً في الحياة الإجتماعية من قبل، لكن الله سبحانه قد ألف بينهم وجعلهم أخواناً متحابين.

«آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال سعد لعبد الرحمن: أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي فخذه.. وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجبتك فسمها لي حتى أطلقها، فتعتد ثم تتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. وخرج إلى السوق فاشترى وباع وربح...»[1].

إن الإسلام لا يقبل ملكية فردية مستبدة متحكمة، ولا يرضى بالمال المشاع وملكيته للدولة أو لحزب من أحزابها، لما في ذلك من الضرر على أفراد المجتمع، والنظام الرأسمالي المتحكم له أثقاله على عامة العاملين بالقطاعين الخاص والعام. وقد نشأ عن ذلك وجود قلة مترفة متخمة، ووجود طبقة فقيرة تمثل الأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع.

لكن الإسلام في نطاق الإقتصاد والتملك يقرر الحد الوسط، فلا يحرم الإنسان من التملك، ليقتل ملكة الإبتكار فيه، فيدفعه إلى الدعة والخمول والإسترخاء في كثير من الحالات، وهو لا يطلق الملكية الفردية لتكون مستبدة إنما يهدي للتي هي أقوم من ميدان الحياة الإقتصادية.

---

(١) انظر سيرة النبي ﷺ (جـ ٢ ص ١٢٣) ـ ١٢٧ لابن هشام وانظر الفتح الرباني ـ شرح سند الإمام أحمد (جـ ١ ص ٧).

قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾[1].

فعلى المراهق المسلم أن يتريث ولا يتعجل الأحداث فيطلب المال من غير وجوهه المشروعة.

---

(١) سورة القصص آية: (٧٧).

obeikandl.com

دوافع السلوك عند علماء النفس

لقد اهتم علماء النفس بدراسة السلوك الإنساني والدوافع الكامنة خلف كل سلوك يمارسه الإنسان أو ما يقوم به من أوجه النشاط المختلفة.

تعريف الدوافع:

(١) - «الدافع: حالة داخلية أو استعداد داخلي فطري أو مكتسب شعوري أو لا شعوري، عضوي أو إجتماعي أو نفسي يثير السلوك، ذهنياً أو حركياً، ويوصله ويسهم في توجيهه إلى غاية شعورية أو لا شعورية»[١].

(٢) - «الدافع: حالة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة، وتواصله حتى تصل إلى غايتها»[٢].

(٣) - «الدافع: حالات فسيولوجية وسيوكولوجية داخل الفرد تجعله ينزع إلى القيام بأنواع معينة من السلوك في اتجاه معين

---

(١) معالم علم النفس (ص ٤١) د/عبد الرحمن عيسوى - دار الفكر الجامعي.
(٢) أصول علم النفس (ص ٧٦) د/أحمد عزت راجح - المكتب المصري الحديث الإسكندرية.

وتهدف الدوافع إلى خفض حالة التوتر لدى الكائن الحي وتخلصه من حالة عدم التوازن».

(٤) - الدافع: مصطلح عام أطلق للدلالة على العلاقة الديناميكية[١] بين الكائن الحي، وبيئته وهذه العلاقة لا تكون في شكل ظاهرة سلوكية يمكن ملاحظتها ولكن في صورة استدلالية.

(٥) - «الدافع هو حالة داخلية جسمية أو نفسية لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الإتجاه العام للسلوك الصادر عنها، تثير السلوك في ظروف معينة وتواصله حتى تنتهي على غاية معينة»[٢].

يلاحظ على هذه التعاريف أنها تنبع من معين واحد وأنها تنزع في الغالب إلى اتجاه واحد، حيث تكاد تتفق على أن الدوافع عوامل داخلية لا يمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة إنما يمكن الإستدلال عليها بنوع السلوك الصادر عنها، وأن الدوافع تعمل على تحقيق مطالب الفرد، وتعمل على خفض حالة التوتر الناشئة عن النقص الحاصل في أعضاء الجسم وأنسجته الداخلية، وأنه لهذا يندفع نحو مصدر الإشباع لسد النقص وإعادة الجسم إلى حالته الطبيعية، ومن هذه التعاريف ما يركز على جانب النشاط الحركي الصادر عن الكائن أثناء عملية الإشباع، وهؤلاء يهملون الجانب النفسي وأثره في السلوك، حيث يولون الجانب الحركي اهتماماً أشد.

---

(١) ديناميكي ـ الحركة أو القوة الدافعة.

(٢) علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام (ص ٢) د/محمد محمود محمود ـ دار الشروق جدة.

تفسير دوافع السلوك الإنساني
عند مدارس علم النفس

تعددت مدارس علم النفس التي عنيت بدراسة السلوك، ولقد اختلفت هذه المدارس في تفسير دوافع السلوك الإنساني اختلافاً شديداً حتى أن أصحاب الإتجاه الواحد اختلفوا فيما بينهم، وفيما يأتي إشارة سريعة إلى أهم النظريات واتجاهاتها في تفسير السلوك.

أولا: أنصار نظريات الغرائز:

«سيطر هذا الإتجاه على الدراسات النفسية فترة طويلة من الزمن ووجه بمجموعة من الإعتراضات لدرجة أن بعض العلماء المعاصرين يرفضون مصطلح الغريزة أصلاً ويفضلون استبداله بمصطلحات كثيرة منها الدوافع الفطرية والحاجات البيولوجية.

وقد اختلف أنصار نظريات الغرائز اختلافاً كبيراً في تحديد نوعية الغرائز وعددها:

(١) ـ **وليم جيمس** حددها ٣٢ غريزة ـ الخوف ـ التقليد ـ التنافس... الخ.

(٢) ـ **ثروثديك** حددها ٤٢ غريزة ـ المقاتلة ـ الأكل ـ الضحك

ـ العطش . . الخ

(٣) ـ **وليم ماكدوجال** حددها ١٤ ثم أضاف بعد ذلك أربعة غرائز أخرى.

(٤) ـ **فرويد** حددها ٢ فقط ـ غريزة الحياة أو الجنس والعدوان أو الموت.

ولم تواجه نظرية النقد والتعليق أكثر من نظرية **فرويد** في مجال الدراسات النفسية . . . فالتفسير الفرويدي فيه هبوط للإنسان من المستوى الإنساني إلى المستوى الحيواني . . . الخ»[1].

كان **فرويد** مصاباً بهستريا الجنس ولهذا جاءت تفسيراته لجميع أنواع السلوك الصادرة عن الإنسان في جميع أحواله العادية والمرضية، وفي جميع مراحل عمره، حيث تحركه الدوافع الجنسية في الطفولة والصبا كما تحركه في المراهقة والشباب، وهذا شأنه ما دام حياً، فلم يترك **فرويد** مظهراً من السلوك الإعتيادي إلا أرجعه إلى الغريزة الجنسية، فالطفل يمتص ثدي أمه بلذة جنسية، والشعور بالراحة بعد عمليات الإخراج ـ التبول والتبرز ـ لذة جنسية، والشعور بالحنان عندما تضمه الأم إلى صدرها لذة جنسية، وعلاقة البنت بأبيها لذة جنسية كعلاقة الإبن بأمه، حتى الحروب وأعمال التخريب أرجعها إلى الغريزة الجنسية، حتى التاريخ القديم، هكذا كانت نظرته إلى كل شيء في الحياة ظاهرها وباطنها ماضيها وحاضرها، كان ينظر إليه من خلال مرضه العضال الذي سرت عدواه وعم خطره

---

(١) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (ص ٩٢: ٩٨) بتصرف، وانظر الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر (ص ٤٥) وانظر مبادىء علم النفس (ص ١١٩) ـ د/مختار حمزة.

مجتمعات أوروبا، وانتقلت عدواه إلى مجتمعات الشرق الإسلامي بواسطة الفكر المستغرب[1]، كما تبنت هذه الأفكار الضالة المضلة ـ بعض وسائل الإعلام العلمانية في كثير من البلاد الإسلامية، وقد ساعد على ذلك وجود الإستعمار الإنجليزي والفرنسي في منطقة الشرق الإسلامي.

ومن الطعون التي وجهت إلى هذه النظرية الفاسدة ما يأتي:

(١) ـ تضمنت النظرية الفرويدية فكرة غامضة جعلت منها أساس الحياة والطاقة النفسية وهي ما اطلقت عليه الليبيدو.

(٢) ـ جعل **فرويد** الأساس الأول للتكوين الإنساني الفطري الغرائز (الجنس والعدوان) وبهذا سلب الإنسان كل القيم والجوانب العليا التي استحق من أجلها الإستخلاف في الأرض.

(٣) ـ جعل من الدين عملاً مفروضاً على الإنسان معوقاً لرغباته الأمر الذي يضاد في نظره فطرة الإنسان وطبيعته.

(٤) ـ التصور الفرويدي للشخصية محتاج إلى تفسير، فالشخصية تتألف عنده من الهو (الجانب الغريزي)، والأنا الأعلى (الجانب المثالي) والأنا (الجانب الواقعي) ولم يفسر لنا كيف تشتق الأنا من الهو والأنا الأعلى.

(٥) ـ يطرح لنا القرآن الكريم تصوراً واقعياً للشخصية وللنفس قبل **فرويد** بأربعة عشر قرناً وهذا التصور القرآني إلٰهي المصدر ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ وهذا التصور يؤكد فساد وبطلان

---

(١) أعنى بهذا التعبير بعض علماء النفس الذي يعنو بهذه النظرية على الرغم من علمهم بفسادها وبطلانها وعلمهم بكثرة الطعون الموجهة إليها.

التفسير الفرويدي، فهناك ثلاثة أنواع من النفوس. النفس المطمئنة ـ النفس اللوامة ـ النفس الأمارة بالسوء»[1].

ثانياً: المدرسة السلوكية:

المدرسة السلوكية تسلك طريقاً مضاداً لنظرية الغرائز فهي لهذا لا تعترف بالغرائز ولا بالدوافع: «ويؤكد هذا الإتجاه أن الكائن الحي لا تحركه دوافع فطرية توجهه نحو غاية معينة، وإنما الذي يدفعه ويحركه، منبهات حسية فيزيقية خارجية، ولهذا لا يهتم أنصار هذا الإتجاه السلوكي بدراسة الغرائز أو الدوافع الفطرية، على أساس أن مفهوم الدوافع مفهوم غامض مضلل لا يحقق أية دلالة علمية موضوعية قابلة للدراسة التجريبية، ويؤكد بعضهم أن أية محاولة لتصنيف الغرائز مقضى عليها بالفشل لأنها لا تخضع للدراسة العلمية، ويمكن تفسير سلوك الإنسان عند أنصار هذا الإتجاه على أنه سلسلة من الأفعال الناجمة عن المثير والإستجابات، وينظر أصحاب الإتجاه السلوكي إلى الإنسان نظرتهم إلى آلة ميكانيكية معقدة».

«وقد تعرضت هذه النظرية لكثير من أوجه النقد لإنكارها الدوافع والإستعدادات الفطرية، وتحويل الإنسان إلى آلة تشكلها المؤثرات الخارجية فحسب، لهذا ظهر اتجاه جديد لهذه المدرسة أطلق عليه السلوكية الجديدة يحاول تجنب النقد اللاذع الذي وصل إلى حد القول بأن علم النفس قد انتحر على يد (السلوكية) ويصر

---

(١) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (ص ٩٩).

أنصار الإتجاه السلوكي الجديد على عدم وجود دوافع فطرية»[1].

ثالثاً: مدرسة الجشتلط:

«يرى أنصار هذا الإتجاه أنه لا يمكن تفسير السلوك على أساس الرجوع للغرائز والإستعدادات الفطرية فحسب، أو على أساس رد الفعل أو الإستجابات الآلية وحدها، وإنما على أساس المجال العام الذي يوجد فيه الفرد، وتفاعله من هذا المجال أو البيئة السيكولوجية كما يراها ويدركها الفرد نفسه... ويمكن تفسير السلوك الإنساني في رأي مدرسة الجشتلط ليس بالرجوع إلى الغرائز ولا إلى الإستجابات الشرطية والآلية وإنما بالرجوع إلى المجال ونوعية إدراك الفرد لبيئته الإجتماعية والطبيعية، فأحوالنا الجسمية والمزاجية وميولنا ورغباتنا هي التي تفسر استجاباتنا للمؤثرات الخارجية..»[2].

إن الإنسان جسد وروح فأي محاولة لتفسير سلوك الإنسان دون العناية بإزدواجية تكوينه فلن تسلم من العيوب والنقائص، فالسلوك الذي يقوم به الإنسان يقوم على طريقة الإنسان مع تفاعل كيانه المزدوج (جسده وروحه).

---

(١) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (ص ١٠١) وانظر معالم علم النفس (ص ٣٦) ـ المرجع السابق (ص ١٠٢) وانظر معالم علم النفس (ص ٣٨).

الدوافع الفطرية والمكتسبة
عند علماء النفس

تقسيم الدوافع:

أولاً: دوافع فطرية (أولية).
ثانياً: دوافع مكتسبة (اجتماعية أو نفسية).

التعريف بالدوافع الفطرية:

أولاً: الدوافع الفطرية هي «تلك الدوافع التي يمكن أن نصفها بأنها عامة بين جميع أفراد الجنس البشري، من حيث إنهم أفراد جنس واحد، ومن حيث إن هذه الدوافع سابقة لكل تعلم وخبرة واكتساب، تلك الدوافع التي تقود الطفل الصغير في سلوكه اليومي، والتي قد تؤثر في سلوك الراشدين كذلك»[1].

أتناول فيما يلي طرفاً من الدراسات النفسية التي أجريت على الدوافع الفطرية، وسوف تكون الدراسة موجزة حيث قد تم تناول موضوعاتها في المنهج الإسلامي لتلبية الدوافع.

---

(١) علم النفس التربوي (ص ٧٩٤).

obeikandl.com

[١] - دافع الجوع:

«لقد أمدتنا الدراسات الكثيرة بأدلة على أن نقص المواد الغذائية في الدم هو العامل الأساسي لظهور دافع الجوع، فحينما تقل المواد الغذائية في الدم تحدث حالة توتر، وتحدث تقلصات في جدران المعدة، ويزداد النشاط العام في البدن ويشعر الإنسان بدافع الجوع ورغبته في الأكل.

وتدل نتائج كثيرة من التجارب الأخرى على أن تقلص المعدة ليس هو العامل الأساسي الوحيد في إحساسنا بالجوع، بل إن حالة الدم الكيميائية هي العامل الأساسي الأول في إحساسنا بالجوع... الخ»[1].

ومثل هذه الدراسات التي تجري على أجهزة الجسم الداخلية في الحالات المختلفة - حالة الجوع - والشبع - تزيد من معرفتنا بالوظائف الفسيولوجية لأجهزة الجسم فقد أصبح من الضروري تحليل الدم لمعرفة طبيعة الأعراض المرضية التي يتعرض لها الإنسان، وأرى أنه لا مانع من الإستفادة بمثل هذه الدراسات ما دامت لا تتعارض مع مبادىء الدين.

[٢] - دافع العطش:

«ينشأ دافع العطش نتيجة نقص كمية الماء الموجودة في البدن مما يسبب جفافاً في الفم والحلق، ويصبح الإحساس بجفاف الفم والحلق جزءاً هاماً من الشعور بالعطش، وهو الذي يجعلنا عادة نشعر

---

(١) علم النفس في حياتنا اليومية (ص ٥٨) وانظر علم النفس الفسيولوجي (ص ١٨٧).

بدافع العطش والرغبة في الشرب، ولهذا الشعور بجفاف الفم والحلق أهمية بيولوجية، لأنه بمثابة الإنذار الذي يتلقاه الإنسان بوجود نقص في كمية الماء ببدنه، فيدفعه ذلك إلى الشرب لسد هذا النقص»[1].

ومثل هذه الدراسات تفيد الإنسان في الحصول على المعارف الضرورية لحفظ سلامة الجسم، واستمرار حالة التوازن، فكلما شعر بالرغبة في الشرب أو جفاف الحلق عرف أن حالة الجسم الداخلية قد حدث فيها نقص، فيعمل على تلافيه لإعادة الجسم إلى حالته الطبيعية.

[٣] - دافع الجنس:

«تدل نتائج كثير من التجارب على أن الهرمونات الجنسية هي العامل الرئيسي في ظهور الدافع الجنسي وما يصاحبه من زيادة النشاط البدني العام.

وتدل بعض الدراسات الأخرى على أن لهرمونات الغدة النخامية في قاعدة الدماغ تأثيرها في ظهور الدافع الجنسي، فقد تبين أن هرمونات الغدة النخامية تعمل على تنبيه الغدد الجنسية وتدفعها إلى إفرازات الهرمونات الجنسية.. الخ»[2].

لا شك أن مثل هذه الدراسات تفيد في تشخيص الأمراض الجنسية والحالات العرضية التي يتعرض لها بعض الأفراد بسبب

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٣) وانظر علم النفس الفسيولوجي (ص ١٩٣).
(٢) المصدر السابق (ص ٦٥: ٦٦) وانظر علم النفس الفسيولوجي (ص ١٩٥) وانظر علم النفس العام (ص ٢٨٧) د/عبد الرحمن عدس.

التصريف غير الشرعي والمنظم، فيكون عرضة للأمراض السارية الناشئة من الإتصال المحرم أحد العوامل المساعدة في استجابته لأمر ربه عز وجل.

الدوافع المكتسبة عند علماء النفس:

يختلف علماء النفس على تسمية دوافع السلوك البشري ذات الصبغة الفردية وهي دوافع السلوك التي تلاحظ على أفراد الجنس البشري أثناء إشباعهم للحاجات الفسيولوجية، ولما كانت هذه الدوافع تختلف في أنماطها من فرد إلى فرد فقد اصطلح لها علماء النفس مسميات عديدة فمنهم من يطلق عليها الدوافع المكتسبة وهم الغالبية، ومنهم من يطلق عليها الدوافع النفسية أو الإجتماعية أو الثانوية، ويتفق الجميع على أن الفرد يكتسب هذه الدوافع من خلال احتكاكه بأفراد مجتمعه والنظم السائدة فيه.

تحت عنوان الدوافع المكتسبة الشعورية واللاشعورية يقول الدكتور/محمد زيدان «يستلزم تكيّف الإنسان مع بيئته تكيفاً سليماً أن يعدل من دوافعه الفطرية الأولية إذ لا يوجد أي مجتمع من المجتمعات يرتضى أن يعبر الإنسان عن دوافعه بطريقة بدائية، فلكل مجتمع من المجتمعات تقاليده وقوانينه وتنظيماته التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، وهذه التنظيمات والقوانين ضرورية لتنظيم العلاقات بين أفراده بعضهم ببعض وعلاقتهم كذلك بالمجتمع.

والمقصود من (الدوافع المكتسبة) وهي تلك الدوافع التي تتكون كنتيجة لحياة الإنسان في بيئته معينة لها من نظمها ما يسمح له بتنظيم ميوله الفطرية تنظيماً خاصاً»[1].

---

(١) النمو النفسي للطفل والمراهق (ص ٤٦).

وتحت عنوان (الدوافع المكتسبة) يقول الدكتور/عبد الله عبد الحي موسى:

«الدوافع الفطرية: كالجوع والعطش والدافع الجنسي وغيره من الدوافع يولد الإنسان مزوداً بها ولكن الدوافع المكتسبة تنشأ من تفاعلنا مع البيئة التي نعيش فيها فكل فرد يعيش في بيئة اجتماعية، وهذه البيئة تمثل المجال السلوكي الذي يتفاعل معه فيتأثر به ويؤثر فيه، ونتيجة لهذا التأثير المتبادل بين الفرد وأفراد مجتمعه تنشأ الدوافع المكتسبة أو الثانوية أو الإجتماعية»[1].

وتحت عنوان (الدوافع النفسية) يقول الدكتور/محمد نجاتي:

«الدوافع النفسية هي الدوافع التي لا يمكن إرجاعها مباشرة إلى الحالات الفسيولوجية كالجوع والعطش والتعب، ويذهب معظم علماء النفس المحدثين إلى أن الدوافع النفسية هي في الأغلب مكتسبة على أساس دوافعنا الفسيولوجية، أي أنهم يعتبرونها متفرعة أو مشتقة منها نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد وعوامل تنشئته الإجتماعية، وبناءً على ذلك فهم لا ينكرون وجود عناصر فطرية فيها»[2].

وعلى هذا فالدوافع المكتسبة (الاجتماعية أو النفسية) مظاهر سلوكية تخص الإنسان دون غيره من الكائنات الحية، ذلك أنها نتاج تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها، وهذه الدوافع فردية وجماعية، ومعنى أنها فردية: أي أنها توجد فيه دون غيره وقد

---

(١) المدخل إلى علم النفس (ص ٢١١).

(٢) القرآن وعلم النفس (ص ٣٧).

توجد في جميع الأفراد، ولطبيعة الحياة الإجتماعية ونوع التربية السائدة أكبر الأثر في تحديد سلوك الفرد والجماعة.

إن تقسيم الدوافع إلى فطرية ومكتسبة أو إلى أولية وثانوية لا يعني الفصل التام بينهما، حيث إن الدوافع المكتسبة التي يتعلمها الفرد من بيئته الإجتماعية وتفاعله معها، لا تعدو أن تكون طريقة ووسيلة يرضى عنها المجتمع لتلبية الدوافع الفطرية يتضح هذا من العلاقة بين إشباع دافع الجوع ودافع التملك كوسيلة لإشباع الأول، فإن الهيئة الإجتماعية لا تقبل الإستيلاء على طعام الآخرين وممتلكاتهم ليشبع الفرد دافع الجوع إذا ما أحس بتسلطه عليه، بل إن هناك آداب سلوكية وعادات تتبع في حالة الفقر والعوز يمكن بواسطتها إشباع دافع الجوع بطريقة يرضى عنها المجتمع ولا تعرض الفرد للوم أو عتاب أو عقاب، وقد أفاد التقسيم أن الدوافع المكتسبة تخص الإنسان فقط.

إن الدوافع المكتسبة لتغاير الفطرية بكونها معقدة نسبياً، ومعنى أنها معقدة أي أن الفرد قد يكتسب عدداً من الدوافع بسبب المعاملة الوالدية أو بسبب بعض أفراد الأسرة، كأن تحابى الأم والأب أحد أبنائهما، ويهمل أحدهما أو كلاهما آخر أو آخرين، فينشأ من ذلك عدة مشاعر نفسية سلبية، مثل عدم الطمأنينة والخوف من المستقبل والغيرة ومشاعر الحقد والحسد[1].

---

(١) انظر علم النفس في حياتنا اليومية (ص ٧٢: ٧٦) وانظر علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام (ص ٩: ١٠) وانظر الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (ص ١٠٧) وانظر قراءات في علم النفس (ص ١٤٧) وانظر علم النفس التربوي (ص ٨٠٧).

لقد حقد إخوة يوسف عليه واشتد حقدهم وحنقهم لما رأوا أباهم يدنيه منه ويقربه إليه، ويعقوب عليه السلام لم يقرب يوسف عليه السلام إلا لما رآه فيه من علامات النبوة بعد رؤية رآها.

قال الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1].

لقد جهل إخوة يوسف سبب شدة محبة أبيهم ليوسف، ولم يدفعهم ذلك إلى النظر في سلوكه وأدبه وطاعته بل اندفعوا في حقد وبغض وحسد ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2].

فلما عاينوا الحق في تمامه بعد أن أنجاه الله من مكرهم وكيدهم، وبعد أن أحسن به إذ أخرجه من السجن وأفضل عليه بأن ولاه على خزائن مصر وجاء بأخوته من البدو، فعرفهم وهم له منكرون، فلما أخبرهم بأمره أعلنوا أسفهم عن بغيهم وضلالهم ومكرهم، وناشدوا يوسف عليه السلام أن يعفو ويصفح عنهم.

قال الله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[3].

ولعل القرآن الكريم ـ والله أعلم بمراده من كتابه ـ يهدف من ذكر هذه القصة من بين ما يهدف إليه ذكرها، أنْ تكون أسلوباً تربوياً يهتدى به كل والد ووالدة في علاقاتهم بأبنائهم، فإن أحسوا ميلاً نحو

---

(١) سورة يوسف الآيتان: (٤، ٥) (٢) سورة يوسف آية: (٨).
(٣) سورة يوسف آية: (٩١).

أحد منهم لما يرونه من حسن خلقه وطاعته لله ولرسوله ﷺ واستقامة على هديه، وأخذ بالأسباب، ولأنه يبذل ما في وسعه لتكميل نفسه واستقامة حاله، بينما إخوته لا يهتمون بحسن الخلق والإستقامة على هدى الدين، والإجتهاد في أمر العبادات إلى غير ذلك من السلبيات السلوكية، مما يثير غضبهما عليهم، ويزيد في محبتهما للطائع.

لعل القرآن الكريم يهدف لأن يرينا أن توجيه عاطفة المحبة نحو بعض الأبناء دون البعض أمراً لا تؤمن عاقبته، فهو يورث البغض والحقد والشحناء بين الأبناء، والأولى توجيه طاقات الأبناء الآخرين توجيهاً حسناً هادئاً، وأن يخفي الآباء والأمهات محبتهم والميل لبعض أبنائهم دون بعض، عسى الله أن يهدي الآخرين.

روى الإمام البخاري بسنده عن عامر قال «سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله: قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال: فرجع فردّ عطيته»[1].

إن التسوية بين الأبناء في العطية والمعاملة والعطف من أهم العوامل التي تبقى على المودة بين الإخوة فإذا اختلف سلوكهم وتمايزت طبائعهم فعلى الآباء والأمهات أن يوجهوا السلوك المنحرف الذي لا يرضون عنه بأسلوب غير مباشر، لما في ذلك من العناية بالشخص الذي يراد توجيهه.

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب الهبة.

دراسة لبعض الدوافع الشعورية

[١] ـ حب السيطرة:

«وهو دافع يبعث صاحبه على حب التغلب والقيادة وعلى اتخاذ سلوك يحقق التسلط على الآخرين، ويصاحبه انفعال الزهو أي الشعور بنشوة النصر أو الغلبة وبسط النفوذ، وتبدو هذه الغريزة عند حل مسألة حسابية، والشعور بالغلبة وفرحة الظفر بالتفوق العلمي على الآخرين، كما تبدو منحرفة عند بعض المراهقين الذين يشبعونها بالإعتداء على الضعفاء من الناس»[١].

«إن الرغبة في السيطرة وإقرار الذات من الدوافع الإنسانية الشائعة، ويظهر دافع السيطرة بوضوح فيما نشاهده بين أفراد المجتمع من تنافس شديد...

ونستطيع أن نشاهد مظاهر السيطرة بين الحيوان أيضاً فمن المعروف أن الديوك تتشاجر فيما بينها حتى يظهر ديك قوي يخضع بقية الديوك لسيطرته ونفوذه...

ونشاهد أيضاً في مجتمع الأفيال أنها تخضع لرياسة الفيل الأكبر

---

(١) بحوث في علم النفس (ص ١٣٩).

الذي يقودها في حركتها في الغابة، ونشاهد ذلك أيضاً في مجتمعات القردة والشمبانزي، والبط والأوز، وأسراب الطير التي نشاهدها وهي تطير في نظام دقيق خلف قائدها.

وقد دفعت مثل هذه الملاحظات بعض الباحثين مثل (ماكدوجل) (والفرد **أدلر**) إلى اعتبار (السيطرة) غريزة فطرية ويذهب (**ألفرد أدلر**) على وجه خاص إلى اعتبار (السيطرة وإقرار الذات) من أقوى وأهم الدوافع الإنسانية، بل إنه يعتبرها الغريزة الرئيسية التي توجه حياة الإنسان وتؤثر في شخصيته وسلوكه»[1].

الشعور بالسيطرة على الآخرين شعور مريض يدل على ضعف الشخصية في بعض جوانبها، وهو نتاج البيئة التي تموج بالصراعات، وعلى ذلك فاعتبار (**ألفرد أدلر**) لرغبة السيطرة أنها أهم دوافع السلوك الإنساني، يفسر لنا طبيعة العلاقات السائدة في المجتمعات اليهودية أو التي يكثر فيها تواجد اليهود لما ركب في طبيعتهم من الرغبة في انتقاص الآخرين والإستعلاء وإثارة الفتن، ولا أدل على ذلك من زعمهم بتميز سلالتهم عن باقي البشر ونعتوا أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، وقد سجل القرآن الكريم بعض مزاعمهم وإفتراءاتهم وكشف عن زيفها وبطلانها، فقال الله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾[2].

إن القيادة في المنهج الإسلامي التربوي لا تعني الرغبة في

---

(١) علم النفس في حياتنا اليومية (ص ٧٧).

(٢) سورة المائدة آية: (١٨).

السيطرة والتسلط على الآخرين بل هي أمانة وكفالة وكفاية ورعاية وعدل بين الرعية وسهر على حمايتها وتوفير حاجاتها ونشر الأمن بينهم، وهي لهذا تأتي بالدرجة الأولى من أمانات الإمارة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته والرجل راعٍ في أهل ومسؤول عن رعيته... الحديث»[1]. وهي في الإسلام ولاية رحمة وعدل وبر لا تسلط ولا إجبار، فلا تزال خطبة الخليفة الأول تقرع الآذان منذ ولى أمر المسلمين قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ: «أما بعد أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن ومن النبي ﷺ السنن فعلمنا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني»[2].

كما أن القول بأن توكيد الذات وإقرارها يقوم على دافع السيطرة على الآخرين والتسلط عليهم فإنه شعور مريض هو الآخر، فإن توكيد الذات كائن بما تقدم من مصالح ضرورية يحتاج إليها أفراد المجتمع، وبما يدفع عنهم الأذى والشر، ويجلب إليهم الخير والطمأنينة، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه ـ الملقب بسيف الله ـ وقد عزله عمر رضي الله عنه وولى أبا عبيدة عامر بن الجراح

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب النكاح.

(٢) صفة الصفوة (جـ ١ ص ٢٦٠).

على قيادة الجيش، وظن ضعاف النفوس أن أمر عزل خالد لن يمضي بخير، ذلك أنه عزل قائد طالما قاد المسلمين من نصر إلى نصر فضلاً من الله ونعمة، وقد ظن البعض أن عزله سيفضي إلى المنازعة على القيادة وعلى عدم التسليم في سهولة ويسر، لكن التربية الإسلامية الحقة التي صقلت شخصية خالد رضي الله عنه جعلته يقاتل ـ جندياً مخلصاً ـ تحت قيادة الأمير أبي عبيدة، متفانياً في الدفاع عن عقيدته حتى لقي ربه عز وجل، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى فقال: «لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء»[1].

لقد أجمع علماء النفس على أن الدوافع المكتسبة نتاج تفاعل الفرد مع بيئته الإجتماعية، وعليه فإن ظهور دافع السيطرة ناشىء طبيعي للإضطرابات السلوكية التي تنتشر في أي مجتمع.

إن ملاحظة علماء النفس للسلوك العدواني بين الحيوانات والطيور لا يعطيهم حق تعميم هذا السلوك على الإنسان، ذلك أن السلوك الصادر عن الإنسان يتم بطريقة الإنسان لا بطريقة الحيوان وأن تشابهاً في بعض المظاهر العدوانية، كما أن سيادة الجانب العدواني في أي مجتمع لا يعني شيوعه في المجتمعات البشرية الأخرى، وهذا ما أكدته الدراسات التي قام بها علماء الأنثروبولوجية[2].

---

(١) المصدر السابق (جـ ١ ص ٦٥٤).

(٢) الإنثروبولوجية: علماء الأجناس البشرية.

إن فطرة الإنسان وطبيعته تختلف عن طبيعة الحيوان اختلافاً بيناً، فالإنسان هو المخلوق الذي كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق، وهو المخلوق المكلف المتعبد بالأمر والنهي، والقابل للتقويم والتهذيب والهداية والتزام السلوك العالي الرفيع باتباع ما أنزله الله إليه هداية وتربيته على يد أنبياء الله ورسله الأكرمين، وينحط هذا المخلوق إلى الحيوانية الهابطة حين يكفر بربه ويعصي أوامره ونواهيه، فيهيم على وجهه في الحياة ضالاً مفسداً، متجبراً متسلطاً، لا قانون يردعه ولا خلق يمنعه.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ**﴾[1].

[٢] ـ دافع العدوان:

العدوان هو سلوك يقصد به المعتدى إيذاء الشخص الآخر أو تحطيم الممتلكات، ويرى **هليجارد** أحد كبار علماء النفس أن هناك نوعين من العدوان:

أولهما: العدوان الهجومي الذي يقصد من ورائه إيقاع الأذى والألم بالآخرين.

ثانيهما: العدوان الوسيلي الذي يقصد من ورائه الحصول على الإثابة، وليس إيذاء الضحية إما عن طرق الحصول على شيء مرغوب فيه أو تجنب موقف غير مرغوب فيه، ولعل هذا المعنى هو الأقرب إلى مفهوم النجاة والدفاع بهذه الزمرة من الدوافع...

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٧٩).

لم يتفق الكثير من علماء النفس مع **فرويد** على أن العدوان غريزة فطرية، وإنما افترضوا أن العدوان عبارة عن دافع يرتبط مع الإحباط الناجم عن عدم القدرة على تلبية الحاجات وأن التعبير عن العدوان يؤدي إلى خفض التوتر الناجم عن الإحباط وبالتالي تقليل العدوان، ولذا فإن هذه الزمرة من العلماء افترضت أن العدوان عبارة عن رد فعل قوى للإحباط ولا يمكن أن يكون فطرياً نظراً لأن العدوان لا يحدث فيما إذا عولج في وقت سابق من حياة الإنسان.

لقد أشارت العديد من الدراسات والملاحظات اليومية والإكلينيكية[1] على أن التعبير عن العدوان لا يؤدي بالضرورة إلى خفض قوة الدافع (أي العدوان) مما يتناقض مع افتراض نظرية الدافع وخفض التوتر، ولذا فقد برزت مجموعة أخرى من العلماء حاولت تفسير العدوان أنه سلوك متعلم.

«إن العدوان عبارة عن سلوك يمكن تعلمه من خلال الملاحظة أو التقليد، وكلما عزز أو أثيب الملاحظ أو المقلد بشكل مباشر أو غير مباشر لتقليده للسلوك العدواني كلما زاد احتمال ظهور السلوك العدواني عند الفرد، كما أن الأدلة تشير بأن السلوك العدائي الذي يثاب صاحبه عليه يكون أكثر عرضة للتقليد من قبل الآخرين خاصة الأطفال»[2].

يظهر دافع العدوان على الغير مبكراً في مرحلة الطفولة الأولى، ولعل ذلك يرجع إلى مشاهدة الطفل لواقع حياة من حوله

---

(١) الإكلينيكية: التشخيص العلاجي للأغراض الحسية المرضية.

(٢) علم النفس العام (ص ٢٩٥) د/عبد الرحمن عدس د/محيي الدين توفيق ـ الأقصى الأردن.

من أفراد الأسرة، وعلى وجه الخصوص الأطفال الذين يكبرونه بعام أو عامين، وكثيراً ما يرجع تعلم دافع العدوان إلى نوع المعاملة السائدة في الأسرة، ومعاملة الأم لطفلها بالذات في مواقفه السلبية مثل التبول الدائم أو التبرز، ذلك أن عدم قدرة الطفل على تنظيم هذه العملية يثير غضب الأم ويجعلها تنهال عليه باللوم والضرب في غالب الأحيان، فيحاول محاكاتها في تصرفاتها ويوجه عدوانه إليها أو إلى إخوته أو إلى أثاث المنزل، ومع تطور نموه فإنه يوجه عدوانه إلى أخيه الذي يليه في الميلاد، وإن كانت هذه الظاهرة السلوكية تفسر بأنها تحدث بدافع الغيرة بين الطفلين المتعاقبين في الميلاد، فيما يظنه عامة الناس، وهذا الدافع رغم تبكير ظهوره لا يعتبر دافعاً فطرياً حيث إنه من نتاج البيئة الإجتماعية، أما في مراحل المراهقة والشباب والرشد فإنه يرجع في كثير من أحواله إلى الملاحظة والتقليد والإثابة وإغراء الشيطان لدفع النفس الأمارة بالسوء إلى أحداث الشغب والإضطراب في الحياة الإجتماعية.

إن علماء النفس الذين افترضوا العدوان عبارة عن رد فعل للإحباط وأنه لا يمكن أن يكون فطرياً نظراً لأنه لا يحدث فيما إذا عوقب في وقت سابق من حياة الإنسان.

إن هذه النظرية لا تتعارض في هذا الغرض بالذات ـ مع المنهج الإسلامي للتربية، ويبقى للمنهج الإسلامي فضل السبق والصحة لجَميع أصوله والسلامة لكافة فروضه.

إن الإسلام يعالج الدافع إلى العدوان بالتهذيب والتقويم والتوجيه ليحول دون التورط في مظاهر السلوك العدواني، كما يعالجه بالعقوبة المناسبة لكل سلوك عدواني.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

إن القرآن الكريم يربى دوافع الفرد والجماعة بالتهذيب والتوجيه الهادىء ويجعل الجماعة المؤمنة ناصحة مرشدة داعية إلى الخير والتكافل والتضامن والولاء والنصرة، ناهية عن دواعي الفرقة، ومن ثم فهو لا يلجأ إلى التربية بالعقوبة إلا في الحالات التي لا يفيد معها النصح والإرشاد، ولا توقع العقوبة إلا بعد ارتكاب ما يوجبها شرعاً بالقدر الذي تندفع به.

إن القرآن الكريم يحذر من الإعتداء بجميع أشكاله ومستوياته، لذا حذر من أدنى مستوياته، كالتنابز بالألقاب والسب

---

(١) سورة التوبة آية: (٧١).
(٢) سورة الحجرات آية: (٩).
(٣) سورة المائدة آية: (٣٣).

والإعلان بالخصومة، واعتبر ذلك السلوك ظلماً وفسوقاً لا يتناسب مع منطلقات الإيمان بالله وباليوم الآخر.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

إن تقرير القرآن الكريم ضرورة التوبة من أنماط السلوك العدواني يؤكد إمكانية تهذيب الدوافع بعد انحرافها وشذوذها.

ولقد اشتملت السنة النبوية الشريفة على الكثير من الأحاديث لتهذيب دافع العدوان، وتقويم الفرد والجماعة.

روى الإمام مسلم رحمه الله بسنده عند أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[2].

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[3].

إن السلوك العدواني يسود في مجتمعات الكفر والشرك، وقد كان المجتمع العربي قبل نزول القرآن مجتمعاً عدوانياً سادت فيه الفرقة وأكلته الحروب التي كانت تثور لأيسر الأسباب وأحقرها، وما

---

(١) سورة الحجرات آية: (١١).
(٢) صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان باب ـ إنشاء السلام.
(٣) المصدر السابق كتاب الإيمان باب ـ سباب المسلم فسوق.

أخبار حرب البسوس بغائبة عن أحد.

لكنه بعد بعثة الرسول ﷺ ونزول القرآن الكريم انمحت في هذا المجتمع دواعي الفرقة، وانعدم السلوك العدواني، بتربية الرسول ﷺ لأصحابه وأبناء أصحابه والمراهقين والشباب الذين سبقوا إلى الإيمان، وعاشوا به وله، وأصبح الجميع بحمد الله تعالى أخوة متحابين.

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ اللّهُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[1].

[٣] ـ الدافع إلى المقاتلة:

«وهو اندفاع الكائن إلى البطش والهجوم دفاعاً عن حياته أو عن عرضه أو عن وطنه أو من أجل الحصول على طعام حيل بينه وبينه والإنفعال المصاحب له هو الغضب وإذا اشتد أصبح هيجاناً حاداً، ويتميز باحمرار الوجه وخفقان القلب وزيادة دقاته وشهقات التنفس وزفراته، ويستثار هذا الدافع في التربية الدينية لتربية عاطفة الغضب في الله وعاطفة حب الوطن الإسلامي وبغض الكفار والمستعمرين ونحو ذلك.

ويجب تعويد النُشء أن يملكوا أنفسهم عند الغضب، وألا ينحرفوا بغريزة المقاتلة فيوجهوها إلى إخوانهم فيصبح (بأسهم بينهم)

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٠٣).

ويؤلفون عصابات ضد بعضهم البعض الآخر، فهذا أسوأ انحراف لهذا الدافع ويمكن تنظيم هذا الدافع وتوجيهه نحو ممارسة الألعاب الرياضية المفيدة لبناء الجسم»[1].

إن واقع الحياة البشرية والصراعات التي تحدث كثيراً بين الأفراد والجماعات والأمم ليؤكد أن دافع المقاتلة ليس شراً، فالمجتمع المسلم بحاجة إلى رد العدوان، الذي يقع عليه من الكافرين، هكذا كانت ظروف الحياة قديماً وحديثاً والمدافعة بين الحق والباطل مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن الباطل ليزهو ويتعالى إلى أن يتمسك أهل الحق بحقهم ويعرفوا واجبهم نحوه، فحين ينطلقون مدافعين عنه فإن الباطل حينئذٍ ينزوي وأهله، وتلك سنة الله التي أرادها للحياة والأحياء، كي يستقيم أمرها وتعمر بالخير والبر.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[2].

إن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالقتال في سبيله لنشر دعوة الإسلام وتحكيم شريعته ومنهجه في الحياة، ونهى سبحانه عن الإعتداء بكل أشكاله ومظاهره، فلا عدوان إلا على الظالمين، الذين ظلموا أنفسهم بأن حادّوا الله ورسوله، وظلموا غيرهم بأن صدوهم عن سبيله، وحالوا بينهم وبين هداية ربهم، فحق عليهم العذاب بالقتل والهزيمة في الحياة الدنيا والخلود في جهنم في الحياة الآخرة، إن القتال الذي شرعه الله وأمر به عباده المؤمنين يهدف

---

(١) بحوث في علم النفس العام (ص ١٣٩).

(٢) سورة البقرة آية: (٢٥١).

أصلاً إلى تحطيم القوى التي يستتر خلفها الطواغيت كي لا تبقى قوة «تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها، حتى يكون الدين لله، لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض، بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول، ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

[٤] - دوافع النشاط والإثارة:

«إن الكائنات الحية لا تعمل فقط على القيام بسلوكات تحافظ على بقائها ونوعها بل أنها تعمل على اكتشاف البيئة من حولها وتحاول التحكم في مظاهر البيئة من أجل أن تتكيف معها تستزيد من نشاطها وضمن هذه الفئة من الدوافع لا تظهر العوامل الفيزيولوجية بنفس الوضوح الذي كانت تظهر فيه بالنسبة لتأثيرها فيما سبق من دوافع وإنما نجد أن هذه الدوافع تدفع الفرد للفهم والسعي نحو الجديد وتحقيق التقدم من أجل إثراء وإغناء الإمكانات السلوكية وضمن هذه الفئة سيتم الحديث عن دوافع الإكتشافات والتحكم ودافع الإستشارة الحسية ودافع التحصيل»[3].

إن القرآن الكريم يحث على النشاط والحركة واكتشاف البيئة المادية التي تقع بالقرب من الفرد والتي تبعد عنه، سعياً وراء

---

(١) في ظلال القرآن الكريم (جـ ١ ص ١٨١).

(٢) سورة البقرة آية: (١٩٠).

(٣) علم النفس العام (ص ٢٩١).

المعاش وتحسين الظروف الحاضرة، وعبادة الله وتوحيده.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١).

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٢).

[٥] ـ دافع التحصيل:

«يتمثل دافع التحصيل في الرغبة في القيام بعمل جيد والنجاح في ذلك العمل، وهذه الرغبة كما يصفها **مكيلاند**، أحد كبار المشتغلين في هذا الميدان، تتميز بالطموح، والإستمتاع في مواقف المنافسة والرغبة الجامحة للعمل بشكل مستقل وفي مهاجمة المشكلات وحلها، وتفضيل المهمات التي تتطوى على مجازفة متوسطة بدل المهمات التي لا تنطوي إلا على مجازفة قليلة أو مجازفة كبيرة جداً.

إن الأفراد الذين يوجد لديهم دافع للتحصيل مرتفع يعملون بجدية أكبر من غيرهم ويحققون نجاحاً أكثر في حياتهم وفي مواقف متعددة من الحياة... الخ»(٣).

لقد حرص منهج التربية الإسلامية على تقوية دافع التحصيل للعلوم والمعارف الدينية والإنسانية والمادية، ذلك أن شيوع الأمية

---

(١) سورة الملك آية: (١٥).
(٢) سورة الروم آية: (٩).
(٣) علم النفس العام (ص ٢٩٣).

يضاد فكرته التربوية بالعكوف على التقاليد البالية والأتباع بدون تفكير ولا روية.

فالإسلام يتخذ من التعليم وسيلة لنشر المعارف والعلوم النظرية والتجريبية التي تساعد على فهم آيات القرآن الكريم، وتعين على إدراك عظمة آيات الله في الكون المنظور، وتهدى إلى دلائل قدرته ووحدانيته تعالى، فيؤدي ذلك إلى خشيته وامتثال أمره واجتناب نهيه.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[1].

فالعلماء الذين يعنون بدراسة الطبيعة، وما حواه الكون في صفحاته العريضة هم أعرف الناس بربهم لما يرونه من دلائل عظمته وقدرته التي لا يعمى عنها منهم إلا من طبع على قلبه وطمست بصيرته، فأغلقت أبواب الهداية أمام قلبه، فيذهب بعيداً يلتمس تفسيراً لروعة الوجود الذي يطالعه ويجذب بصره فيطول شخوصه إليه، حتى يخرج عليه هوى نفسه بتفسير ضال مضل، أما العلماء العاملون فإن علومهم ومعارفهم وأبحاثهم ودراساتهم التحليلية والتجريبية والإستكشافية تزيدهم معرفة بربهم وخشية له سبحانه.

ولقد حث الرسول ﷺ على طلب العلم، ورغب في الحرص عليه.

---

(١) سورة فاطر الآيتان: (٢٧، ٢٨).

روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله قال: «قال رسول الله ﷺ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[1].

«للدافع أهمية كبيرة في التعلم، فإذا توفر الدافع القوي للحصول على هدف معين توافرت الظروف المناسبة لكي يقوم الإنسان ببذل الجهد الضروري لتعلم الطرق الصحيحة للوصول إلى هذا الهدف... وقد استخدم القرآن الكريم في تربيته الروحية للمسلمين أساليب مختلفة في إثارة دوافعهم إلى التعلم، فاستخدم الترغيب والترهيب واستخدم القصص للتشويق، كما استعان بالأحداث الجارية الهامة التي تثير دوافع الناس وانفعالاتهم وتجعلهم متهيئين لتعلم العبرة من هذه الأحداث»[2].

والقرآن الكريم يدعو المسلم أن يسأل ربه مزيداً من العلم والقدرة على التحصيل اقتداءً برسول الله ﷺ وحرصه على التحلي به قال الله تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[3].

---

(١) سنن الترمذي (جـ ٤ ص ١٣٧).

(٢) القرآن وعلم النفس (ص ١٥١).

(٣) سورة طه آية: (١١٤).

الدوافع اللاشعورية

- تعريف اللاشعور:

«اللاشعور مستوى من مستويات الحياة النفسية، وبهذا المعنى يكون اللاشعور تلك الكتلة الضخمة من الحوادث النفسية المختلفة التي لا يحيط بها التركيب الشعوري، ولا تكون تحت تصرف الشعور المباشر»[1].

ويوضح هذا المعنى الدكتور محمد نجاتي فيقول: «إن كثيراً من سلوكنا يحدث بدون وعي تام منا بالأسباب الحقيقية التي تدفعه، فقد يظهر الفرد، مثلا، سلوكاً عدوانياً نحو الأفراد الآخرين دون أن يكون مدركاً لماذا يتصرف على هذا النحو، وقد يشعر بخوف شديد ينتابه في بعض المواقف مما يدفعه إلى تجنبها والهروب منها دون أن يدرك الأسباب الحقيقية لمثل هذا السلوك، ويرجع الفضل إلى **سيجمند فرويد** مؤسس مدرسة التحليل النفسي في اكتشاف فكرة اللاشعور أثناء دراسته للأمراض النفسية، فقد تبين له مثلاً أن أعراض مرض الهستيريا والمخاوف المرضية تنشأ عن ذكريات مكبوتة

---

(١) الصحة النفسية (ص ٨١) د/نعيم الرفاعي ـ الطبعة السادسة ـ جامعة دمشق.

في اللاشعور لخبرات قديمة حدثت في فترة الطفولة، بسبب ما تثير فيه من شعور بالذنب أو الخوف من العقاب، والرغبة المكبوتة لا تزول نهائياً، بل تظل باقية في اللاشعور، وتحاول أن تظهر في الشعور بشتى الطرق، غير أنها تجد مقاومة تمنعها من الظهور لما يسببه إدراكها من قلق. . . »[1].

لقد ظل علماء النفس حتى نهاية القرن التاسع عشر يعنون بدراسة السلوك الإنساني معتمدين على العمليات الشعورية باعتبارها أساساً لتحريك دوافع الفرد نحو سلوك معين، حتى خرج إلى حقل علم النفس (**فرويد**) بنظرياته في تفسير السلوك، فأنكر أن تكون العمليات الشعورية وحدها هي التي تدفع الفرد إلى جميع أنواع السلوك بل ثمة عوامل أخرى داخلية تؤثر في غالب سلوكنا، بطريقة خفية لا نلاحظها، وأطلق عليها اسم اللاشعور، وقد بنى قوله على أساس أن الكثير من العمليات الشعورية لا يتحقق لها الإشباع، نظراً لأن البيئة الإجتماعية لها عاداتها وتقاليدها وقوانينها، وكلها موانع تحول دون إشباع جميع الدوافع، فتسمح لبعض الدوافع بمستوى من الإشباع تحت ظروف معينة، ولا تسمح للبعض الآخر بالإشباع، ما دامت تتعارض مع عادات وتقاليد المجتمع.

غير أن الدوافع التي لم تشبع لا تقنع بهذه الحيلولة فتنتهي أو تتلاشى بواعثها في النفس بل تظل في حالة كمون منتظرة أي فرصة لتحقق الإشباع، فافترض محلاً لكمون هذه الدوافع في جانب خفي من النفس، وهو ما أسماه اللاشعور، وبذلك أصبح علم النفس

---

(١) علم النفس في حياتنا اليومية (ص ٨٣) وانظر علم النفس التربوي (ص ٨٠٧) وانظر النمو النفسي للطفل والمراهق (ص ٤٦).

يـدرس السلوك على أساس من العمليـات الشعوريـة واللاشعـورية، بعد أن كانت دراسة السلوك تعتمد على الجانب الشعوري فقط[1].

هـذا الجـانب الخفي من النفس الـذي كشف عنـه **فـرويد** ذو أهمية كبيرة عند علماء النفس في تفسير السلوك المفاجىء بـالذات، وكشف أبعاده ودوافعه.

ومن الأمثلة التي ضربها **فرويد** لهذا النوع من الدوافع «أن أحد رؤساء البرلمان وقف يومـاً يعلن عن افتتاح الـدورة البرلمـانية فقـال: (أيها السادة، أتشرف بأن أعلن انتهاء الدورة البـرلمانيـة) بدلاً من أن يقول (افتتاح الدورة البرلمانية) وقد فسر **فرويد** هذا الخطأ بـأن رئيس البرلمان كان في الواقع غير راضٍ عن الدورة البرلمانية، وكان يتمنى إغـلاق البرلمـان، فجاء الخـطأ الذي وقـع فيـه معبـراً عن الـدوافـع الحقيقية للرجل بطريقة غير شعورية»[2].

الكبت واللاشعور:

«يميل الإنسان دون إرادة منه ـ إلى الخلاص مما يؤذيه ويؤلمـه أو يزعجه، وبعبارة أخرى نستـطيع القـول: أن العقل بـطبيعة تكـوينه يميل إلى أن يبعد عن حيـاتنا الشعـورية، مـا يسبب لنا الضيق، ومـا يتنافى مع مثلنـا الخلقية والإجتمـاعية، وكـل ما من شـأنـه أن يمس احترامنا لأنفسنا، يحدث كل ذلك بـطريقة آليـة لا شعوريـة، وتعرف تلك العملية اللاشعورية (بالكبت) فنحن لا نعرف أننا نكبت، أو ماذا

---

(١) انظر المدخل إلى علم النفس (ص ٢١٣).

(٢) في علم النفس (ص ١٣٣) د/مصطفى فهمي. وانظر اتجاهات جـديدة في علم النفس الحديث (ص ٩٧) د/عبد الرحمن محمد عيسوي.

نكبت، أو لماذا نكبت؟

وفي ضوء ما سبق نستطيع أن نفرق بين عمليتين ـ الكبت والقمع.

إن القمع: عبارة عن الإستبعاد الإرادي المؤقت للدوافع والأفكار والذكريات المؤلمة من الشعور، إن الإنسان يقوم في حالة القمع بضبط نفسه وحبسها عما تشتهيه وتندفع إليه من الأمور المحرمة في نظر الجماعة، أن الإنسان في حالة القمع يكون على علم بهذه النوازع وأنه يحول بينها وبين أن تبدو للناس.

إن الكبت: لا يتضمن وعي الفرد بما يكبته من دوافع»[1].

هذا الجانب الخفي من النفس الذي كشف عنه **فرويد** حديثاً، واعتبره علماء النفس حدثاً عظيماً في ميدان علم النفس الحديث، وأنه أدى إلى تعديل نظريات السلوك فأصبحت تدرس جانبي النفس ـ الشعور واللاشعور ـ إزاء كل سلوك.

هذا الجانب من النفس قد كشف عنه القرآن الكريم ووضحه في أكمل صورة وأتم بيان، وقد عرف العلماء المسلمون هذا الجانب منذ أربعة عشر قرناً من الزمان تزيد قليلاً، فكم من دوافع نفسية خفية اعتملت في نفوس المنافقين، وقد أسدلوا عليها الستور والحواجز رغبة في إخفائها عن مشاهدات المؤمنين، فإذا ما وجدوا فرصة سانحة للتوثب والتشكيك في الرسالة أو الرسول ﷺ، فكشفت دخيلتهم وما طوته نفوسهم الخبيثة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين،

---

(١) في علم النفس ص (١٣٣) د/ مصطفى فهمي، وانظر اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث ص (٩٧) د/ عبد الرحمن عيسوي.

وتكشف سورة الأحزاب حالة من الحالات النفسية للمنافقين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾[1].

هذا الجانب الخفي من أنفس المنافقين كشفت عنه الأحداث المفاجئة، عندما تحزب المشركون وداهموا المدينة المنورة في عدد وعدة لم ير الراؤن مثلها، هنالك تحركت الدوافع النفسية الداخلية الخبيثة التي طواها المنافقون، وحسبوا أن لن يخرج الله مكنون نفوسهم، التي تضطرم غيظاً وحقداً على رسول الله ﷺ ومن آمن معه، ووهموا المرة أن المشركين غير تاركي رسول الله ﷺ ولا واحداً ممن آمن معه بالله، فأعلنوا عما كان مستوراً في نفوسهم من نفاق وارتياب وكفر بالله وبرسوله ﷺ ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[2].

فانتحلوا الأعذار الواهية ليتخلفوا عن الصفوف، فمنهم من يستأذن النبي ﷺ ومنهم يتسلل دون إذن فباء جميع المنافقين بغضب من الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.

«فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل، والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ورسوله... وهم مع هذا منطقيون مع أنفسهم ومشاعرهم، فالهول قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمل، وروع نفوسهم ترويعاً

---

(١) سورة الأحزاب آية: (١٢، ١٣). (٢) سورة الأحزاب آية: (١٢).

لا يثبت له إيمانهم المهلهل».

إن القرآن الكريم في كثير من آياته يبين للإنسانية جمعاء بأن الله سبحانه يعلم ما يبدو من مظاهر السلوك ويعلم ما يخفيه العباد في أنفسهم من رغائب ونيات.

قال الله تعالى: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾[1]. إن علم الله سبحانه محيط بظاهر الشعور وباطنه، فمن حسنت بواطنه وظواهره، كان أهلاً لمعرفة الله ورحمته، ومن ساء باطنه وظاهره فإن الله مخزيه في الدنيا ومعذبه في الآخرة، ومن حسن ظاهره وساء باطنه كالمنافقين فإلى الدرك الأسفل من النار مصيرهم.

إن هذا الجانب الخفي من النفس لا يختزن الدوافع التي لا يرضى عنها المجتمع أو التي يمنع إشباعها بطريقة همجية كما يقول **فرويد**، إنما يختزن أيضاً الدوافع الإنسانية الراقية التي تعجز قدرات الفرد عن إشباعها، كأن يعتمل بالنفس دافع البذل والسخاء على ذوي الحاجات والمعوذين، أو الرغبة في إنفاذ مشروعات خيرية عامة تحقق مصالح المسلمين، بينما قدرات الفرد المالية لا تساعده على تحقيق هدفه، فيحجبه داخل النفس، كما أن هذا الجانب الخفي يختزن أزكى الدوافع القدسية الفطرية، إذ يختزن حب الله تعالى والإيمان به، وحب رسوله ﷺ والتصديق بما جاء به، عندما يتعرض المؤمن لحالات الإبتلاء والإختبار من الكافرين.

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٨٤).

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

لقد تعرض أصحاب رسول الله ﷺ لألوان شتى من العذاب واستمر سادة قريش في إنزال العذاب الأليم بهم، فصبر الكثير منهم على التعذيب والأذى وندر من ضعف منهم عن تحمل الأذى، فاضطر أحدهم إلى إعلان الكفر وهو غير راضٍ به، فلما أقبل على رسول الله ﷺ أخبره بما كان منه، فسأله عما يجد في قلبه، قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان.

هذا الدافع الفطري المقدس لا يطالعه الذين أرغموه على النطق بما يخالفه، وهو في كل لحظة شاعر بما يفعل مريد لما يخفي.

غير أن **فرويد** يزعم أن اللاشعورية يعمل على إبعاد المواقف المحرجة والمؤذية والدوافع التي لم تشبع، وأن الإبعاد لهذه الخبرات يتم بطريقة آلية لا دخل للإنسان في توجيهها، بل إنه لا يدري ما يكبت ولما يكبت.

هذا القول ثابت ومعقول ومقبول إذا خص بالمرضى النفسيين لعدم وعيهم ولفقدانهم الإدراك العقلي المميز، فإن السلوك الصادر عنهم تلقائي (آلي) لا يتعقله فاعله، وعلى ذلك فإن تعميم نتائج الفحوص التي أجراها **فرويد** على مرضاه، واعتبرها مبادىء أساسية لتفسير السلوك الغامض عند الأسوياء، تصور شاذ خاطىء.

إذ الصواب أن تتعلق نتائج الفحوص بالنوعية التي أجريت

---

(١) سورة النحل آية: (١٠٦).

عليها، وأن تكون خاصة بالمجتمع الذي أجريت فيه، فلكل مجتمع روحه ومنطلقه وأصول ثقافته ومستوى تربيته وتأثير ذلك في السلوك ظاهر غير منكور.

فلو أن **فرويد** أعاد تجاربه في مجتمع غير الذي عاش فيه، على أن يكون مخالفاً له في عاداته وتقاليده، لكان من الممكن أن يغير رأيه، ويقر بأن لكل مجتمع ظروفه وأحكامه، بل أن لكل حالة ظروفاً خاصة بها، وتعتبر الدراسة التي أجرتها ـ ميد ـ وغيرها من علماء النفس الإجتماعي دليلاً قوياً على ذلك، فلقد كان السائد عند علماء النفس أن مرحلة المراهقة تتميز بالثورة والتمرد ضد سلطة الأسرة والمدرسة والمجتمع، كما كان الثابت عندهم أنه لا حيلة للمراهق في هذه الثورة، إذ أنها شعور عام ينتاب المراهق في جميع المجتمعات، حيث إن في ذلك سرعة النمو الجسمي والنفسي والعقلي في هذه المرحلة، وقد ظل هذا التصور ثابتاً حتى أثبتت ـ ميد ـ بدراستها التي أجرتها على القبائل البدائية في مجتمع مانوسي، أن مرحلة المراهقة في هذا المجتمع مرحلة نمائية عادية بالنسبة للفتى والفتاة وأنها تقابل بالإرتياح والسرور من جميع أفراد المجتمع مراهقين وراشدين، ولذلك فإن الأسرة تقيم احتفالاً بهذه المناسبة السارة، وقد أكدت هذه الدراسات وجود اختلاف نسبي من فرد إلى فرد ومن عائلة إلى أخرى ومن بلد إلى بلد في المجتمع الواحد، وبذلك يصبح القول باضطراد مرجع دوافع السلوك في جميع الأفراد وفي سائر المجتمعات زعماً فاسداً لا أساس له من الصحة، فلكل مجتمع دينه وخلقه وعاداته وأنماط سلوكه ومستوى تربيته[1].

---

(١) انظر علم النفس التربوي (ص ٢٧١).

«يلاحظ أن المرضى العصابيين الذين كان يعالجهم **سيجمند فرويد** كانوا في الأغلب من مجتمعات أوروبا المسيحية التي كانت في ذلك الوقت تنظر إلى الجنس باعتباره دافعاً غير مقبول ويجب كبته، ولذلك لم يكن غريباً أن يلاحظ **فرويد** علاقة بين كبت الدافع الجنسي وبين الأمراض العصبية، ومع أن بعض تلاميذ **فرويد** مثل **أدلر ويونج** وغيرهما من المحللين النفسيين الآخرين مثل **كارن هورفي وأريك فروم** لم يوافقوا **فرويد** على اهتمامه الزائد بالغريزة الجنسية، وبتفسيره للأمراض العصابية على أساس أنها ناشئة عن كبتها، إلاّ أنه يجدر بنا أن نلاحظ أنه حتى ولو كانت النتائج التي توصل إليها **فرويد** صحيحة بالنسبة لبعض الحالات في ذلك المجتمع الذي عاش فيه **فرويد**، فليس من الضروري أن تكون صحيحة أيضاً في مجتمعات أخرى تختلف في ثقافتها عن المجتمع الذي عاش فيه **فرويد**، ويتضح من عرضنا لموقف الإسلام من الدافع الجنسي، وعدم إنكاره له، وعدم النظر إليه باعتباره شيئاً مستقذراً يجب كبته، أننا لا نتوقع أن نجد في المجتمع الإسلامي الذي يربي أطفاله تربية إسلامية سليمة، ويشجع شبابه على الزواج المبكر، ويتخلص من العادات والتقاليد التي تحول دون تحقيق ذلك، إننا لا نتوقع أن نجد في مثل هذا المجتمع ضرورة لكبت الدافع الجنسي، كما لا نتوقع أن نجد في تربية الشباب على التحكم في الدافع الجنسي والسيطرة عليه وكفه عن الإشباع حتى يحين الوقت المناسب للزواج أثراً ضاراً بالصحة النفسية إذا ما أقبل الشباب على العبادات، وخاصة الصوم كوسيلة تساعد على السيطرة على الطاقة الغريزية وإعلائها، وإذا ما توافرت لديه أيضاً وسائل الإعلاء الأخرى كالرياضة البدنية والإسهام في كثير من أنواع النشاط

الإجتماعي المختلفة والإقبال على تحصيل العلوم والآداب، والفنون»[1].

إن القرآن الكريم يؤكد أن الفرد وهو يخفي في نفسه دوافع لم تشبع يكون مدركاً لما يخفيه شاعراً به، يعمل جاهداً على إتاحة الفرصة لإشباعه، فإذا ما أتيحت له استدعاه بإدراكه ووعيه، يستوي في ذلك أن يكون الدافع خيراً أم شراً، كما رأينا في مواقف المنافقين، وفي حال المؤمن الذي ابتلى بالإكراه الذي لم يقو على احتماله والصبر عليه، فأعلن غير ما يطمئن إليه قلبه، واحتفظ داخل نفسه بما يطمئن إليه قلبه من الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتصديق برسوله ﷺ.

إن المراهق المسلم لا ينزع إلى تصريف الدافع الجنسي بالأسلوب الحيواني ـ البهيمي ـ الذي يمارس في المجتمعات الكافرة والملحدة بالشرق والغرب، إنما يحفظ الدافع مع قوته في كيانه لا يضعفه ولا يرهقه ولا يتخلص منه (بالإختصاء مثلاً) بل يستعفف حتى يرزقه الله سبحانه بمؤنة النكاح ليقيم أسرة، وهو في حال الإستعفاف يكون شاعراً بما يفعل، كما أن المجتمع المسلم يساعد المراهق والشاب في الحفاظ على هذا الدافع بالحيلولة دون المثيرات المصطنعة التي تعمل على تحريكه في نفس الفتى والفتاة.

قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[2].

إن الزواج هو الطريق الطبيعي لتصريف الدافع الجنسي

---

(١) القرآن وعلم النفس (ص ٥٣). (٢) سورة النور بعض آية: (٣٣).

بأسلوب طاهر نظيف، والمجتمع المسلم يقوم نطاقه الإجتماعي على النظافة والطهر، فإذا لم يتيسر الزواج المبكر فليكن الإستعفاف من المراهقين والشباب وغيرهم، وهو حالة نفسية شاعرة، يحسها المراهق والشاب وهما يعفان عن المحارم، والقرآن الكريم يفتح لهم باب الأمل في إنهاء هذه الحالة، لأنها ليست مساراً طبيعياً لإشباع هذا الدافع.

ويذهب **فرويد** بالإضافة إلى ذلك أن الدوافع التي لا تشبع فيضطر العقل لإبعادها عن الشعور، تؤدي إلى الأمراض العصبية، كنتيجة حتمية لتكوين العقد النفسية، وأن هذه العقد تعتبر أساساً عاماً في الكثير من مظاهر سلوك الفرد.

ـ العقد النفسية:

تعريف العقدة: «هي مجموعة مركبة من أفكار ودوافع وذكريات مشحونة بشحنة انفعالية قوية مكبوتة في اللاشعور.

ويمكن تعريف العقدة كذلك على أنها اتجاه لا شعوري لا يفطن الفرد إلى وجوده، ولا يعرف أصله ومنشأه، وكل ما يشعر به هو أصل العقدة في سلوكه وشعوره.

وتسمى العقدة باسم الانفعال الغالب فيها فيقال (عقدة النقص) (عقدة الذنب) (عقدة الغيرة): أو باسم الموضوع الذي تتركز حوله الإنفعالات فيقال: (عقدة الأم) (عقدة الأب)... الخ»[1].

---

(١) محاضرات في علم النفس (ص ١٣٦) د/مصطفى فهمي وانظر النمو النفسي للطفل والمراهق (ص ٢٨١) ـ وانظر السلوك الإجتماعي (ص ٧٩).

وسوف أكتفى بإلقاء الضوء على عقدتي (أوديب وعقدة الأم) وما ينشأ عنهما من مشكلات سلوكية في نظر فرويد وغيره من علماء النفس.

[١] - عقدة أوديب:

يُرجع علماء النفس أصل ومنشأ هذه العقدة إلى ما «جاء في أساطير اليونان أن الملك الشاب (أوديب) قد اضطرته الآلهة إلى قتل رجل عرف فيما بعد أنه أبوه، وساقته الأقدار بعد ذلك إلى أن يتزوج امرأة أنجب منها دون أن يعرف أنها أمه... ولما نزلت لعنة الآلهة بمملكته، وعم البلاء اكتشف أن هذا لم يكن إلا نتيجة لهذا الزواج المحرم، ففقأ عينيه، وعاش يقاسي آلام التعاسة بقية حياته... واتخذ **فرويد** - الذي كان له الفضل الأكبر في الكشف عن آثار الدوافع الجنسية في تطور سلوك الأفراد - من هذه القصة القديمة سنداً لتفسير مرحلة من مراحل النمو الجنسي في الطفولة... وفي هذه المرحلة - التي تمتد إلى سن السادسة - يميل الطفل أولاً إلى عشق أشخاص من نفس جنسه، ثم من الجنس الآخر، ويبدو طبيعياً أن يلتمس ذلك الإشباع في أقرب الناس إليه، وخاصة من كانوا مصدر لملذاته، فيميل الطفل الذكر ميلاً لا شعورياً إلى الأم، بينما تميل البنت ميلاً لا شعورياً إلى الأب»[١].

إن **فرويد** كما سبق أن ألمحت يميل إلى إغراق العالم في فوضى الجنس والإباحيسة والسلوك البهيمي في إشباع الدافع الجنسي، وهو لهذا يفسر جميع أنواع العلاقات الإنسانية التي يبدو

---

(١) المصدر السابق (ص ١٣٧) وانظر الأسس النفسية للنمو (ص ٢٣٨).

فيها مظاهر الود والمحبة والألفة بأن دافعها جنسي من أصله.

ولست أدري كيف استقبل علماء النفس هذه النظرية بالرضا والتسليم والقبول بل إن كثيراً منهم ـ حتى اليوم ـ يوليها اهتمامه على الرغم من الطعون القوية الموجه إليها المبينة فسادها وبطلانها في كل تعميماتها، حيث أن الأصل الذي بنيت عليه أسس هذه النظرية لا يعدو أن يكون حكاية أسطورية، ومعنى أنها أسطورية، أنها خيالية لا واقعية.

فهل يُجَوِّزُ العقل والمنطق السليم الحكم على السلوك الإنساني الحاضر بأصل خيالي، وأن يعمم الحكم فيشمل جميع أفراد المجتمعات البشرية الأسوياء والمرضى على حد سواء، وعلى فرض وقوعه من فرد في ظروف ملتبسة كما هو الحال في موقف أوديب (الفرويدي) بطل الأسطورة المزعومة، الذي اضطرته الآلهة إلى قتل أبيه والتزوج بأمه، ولم يكن يعلم أن المقتول هو أبوه وأن الزوجة هي أمه.

ألا يمكن أن يلتمس فرويد سبباً آخر وراء هذ التصرف لتفسير سلوك أوديب، فلماذا إذن يعتبر **فرويد** الحب الجنسي للأم في مرحلة الطفولة هو دافع قتل الأب ليتزوج بأمه معشوقة طفولته وصباه.

إن **فرويد** يهدف من رواء ذلك تبرير الهوس الجنسي الحيواني الذي يغرق فيه مع مرضاه النفسانيين، الذين يعانون من فاعلية هذا الدافع ومن استقذار الكنيسة له في ظاهر سلوكها لا في باطنه.

وأُلاحظ في سياق الأسطورة اضطراب موقف الآلهة في القضية الماثلة، ذلك أنها دفعت أوديب إلى قتل أبيه والزواج من أمه، ثم أوقعت لعنتها على مملكته فعمها البلاء والسوء، ثم علم بعد ذلك أن

السبب في هذا البلاء هو الزواج المحرم وقتل الأب.

فكيف بها تدفعه إلى قتل أبيه وتضطره إلى الزواج ثم توقع لعنتها على مملكته بسبب ما دفعته إليه؟

ولست أدري سبباً معقولاً لقبول علماء النفس المسلمين خاصة لمثل هذه التّرهات والأساطير الهابطة إلا التبعية لما ينمق به الغرب.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الطرف الأخير من الأسطورة يدل على أن قتل أوديب لأبيه لم يكن الدافع إليه غيرته السابقة منه وكراهيته له بسبب استئثاره بأمه، إذ لو كان الحب الجنسي للأم اتجاهاً طبيعياً يولد الطفل مزوداً به، أو أنه يكتسبه من بيئته الإجتماعية نظراً لقربه من أمه، لكونها المرجع الأساسي لتلبية حاجاته البيولوجية والنفسية، فينشأ عن ذلك الحب الجنسي للأم، لما وجد أوديب فيما يفعل غضاضة حيث قد خلا له الجو لأن يتمتع بمعشوقة طفولته، بعد أن تخلص من منافسه العنيد إلى الأبد ـ وهو الأب المقتول ـ بل أن الطرف الأخير من الأسطورة يبين قدرتألم أوديب لما فعله على الرغم من جهله بحقيقة الأمر، فلما عرف عاد باللائمة على نفسه وظل يقاسي الكثير من الآلام.

وأجد نفسي مضطراً إلى طرح سؤال أعتبره غير أخلاقي، لذا أعتذر مسبقاً عن وضعه في هذه الدراسة: (هل شعر واحد ـ من علماء النفس الذين تقبلوا هذه التّرهات والأباطيل ـ بميل جنسي تجاه أمه في أي مرحلة من مراحل عمره في حالة وجود الأب أو بعد وفاته؟)

إن انحراف الدوافع عن حقيقتها قد كثر وجوده في المجتمعات الجاهلية التي يسودها الكفر والإلحاد، فلقد كان نكاح زوجة الأب بعد موته في الجاهلية واقعاً اجتماعياً معروفاً، والذي لم يكن معروفاً

في المجتمعات الجاهلية والبدائية أن يميل الابن إلى أمه، ولو أردنا تفسيراً لهذا السلوك المنحرف بالبحث عن الدوافع الكامنة وراءه، لوجدنا أن الميل الجنسي ـ المزعوم في الفهم الفرويدي ـ أبعد العوامل التي يمكن تصورها في دفع هذا السلوك المنحرف، وأن العامل الإقتصادي هو أقوى العوامل الدافعة لهذا السلوك، حيث كان الابن الأكبر يتخذ من ذلك وسيلة للإضرار بزوجة الأب بعضلها ومنعها من الزواج بآخر حتى يضطرها لافتداء نفسها بدفع ما يطلبه من مال أو عقار.

لقد بين القرآن الكريم أن زواج الإبن من زوجة ـ غير أمه ـ أو عضلها سلوك شاذ منحرف غاية في الإنحطاط والفحش. فقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[1].

قال الإمام الألوسي في تفسيره: «إنه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح كما يدل عليه الإخبار بأنه فاحشة مبغوضاً باستحقار جداً حتى كأنه نفس البغض كما يدل عليه الإخبار بأنه مقت، وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفاً بذلك ما رخص فيه لأمة من الأمم»[2].

وقال الإمام الرازي: «مراتب القبح ثلاث: القبح العقلي، والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله سبحانه هذا النكاح بكل ذلك فقوله سبحانه: ﴿**فاحشة**﴾ إشارة إلى مرتبة قبحه العقلي، وقوله تعالى: ﴿**ومقتا**﴾ إشارة إلى مرتبة قبحه الشرعي، وقوله عز

---

(١) سورة النساء آية: (٢٢).
(٢) روح المعاني (جـ ٤ ص ٢٤٨).

وجل: ﴿وساء سبيلا﴾ إشارة إلى مرتبة قبحه العادي، وما اجتمع فيه هذه المراتب الثلاث فقد بلغ أقصى مراتب القبح»[1].

إن زواج الابن بزوجة أبيه انحراف بالدافع الفطري عما توحيه الطبيعة البشرية، وانحطاط بالدوافع النفسية إلى المستوى الحيواني، فكيف بمن يزعم بأن ميولهم الجنسية تجعل من الأم موضوعاً لإثارتها، وإن هذا الميل غائر في طبيعتهم منذ الطفولة، إنها انتكاسة بالسلوك إلى أقصى دركات الحيوانية.

[٢] ـ عقدة الأم:

«زواج الرجل ممن تكبره سناً: فقد يضطر الفرد إلى كبت عقدة أوديب، وهنا يغلب أن يبحث عن بديل لها يشبع معه الميول المكبوتة، ولهذا يسعى للزواج من امرأة في سن أمه، ويلاحظ هذا عندما يقع الشاب في حبائل غرام امرأة في سن الخمسين وهو ما يزال في أول العقد الثالث.

بل نسمع أحياناً بزواج بعض الشبان بأمهات خطيباتهم وليس لهذا تفسير سوى أن عقدة أوديب تجد في هذه العجوز بديلاً للأم التي كانت في يوم من الأيام موضع عشق ذلك الشاب وهيامه»[2].

إن تفسير الزواج من المرأة المسنة بأن عقدة أوديب تجد في هذه العجوز بديلاً للأم زعم باطل لا أساس له من الصحة، بدليل إرجاع هذا السلوك إلى أسباب كثيرة منها:

---

(١) التفسير الكبير (جـ ١٠ ص ٢٤) ـ طهران.

(٢) محاضرات في علم النفس (ص ١٤١).

(١) ـ عدم قدرة الفرد المالية التي تؤهله للزواج بمن يتناسب عمرها الزمني مع عمره، وقد تكون عنده رغبة قوية لإشباع دوافعه الجنسية، فيجد الزواج من المرأة المسنة وسيلة ميسرة لهذا الإشباع.

(٢) ـ ثراء المرأة المسنة فيطمع الشاب في الإرث، فيكون الدافع حينئذٍ الرغبة في الإستيلاء على أموالها، وقد يحدث الطلاق بمجرد حصوله على أهدافه المادية، وقد يتخذ حلاً وسطاً ـ ليبقى على مصدر إمداده المادي ـ فيتزوج بامرأة شابة، فبأي شيء يمكن أن يفسر الزواج الثاني.

(٣) ـ قد تنشأ الرغبة في الزواج من جهة المرأة، فتتخذ من ضعف قدرة الشاب المالية سبيلاً لتحقيق رغبتها، فتبدأه بالقرض المالي المتكرر، وقد تنشأ بينهما علاقات مودة واستحسان، وقد يتصور الشاب أن الإرتباط بها في زواج لا يكلفه من النفقات كثيراً، بل ربما لا يكلفه شيئاً وقد تشعره بذلك على أن كل حالة من الحالات لها أسبابها الخاصة.

ولا أنكر أن من الشباب من يتقدم لخطبة فتاة ثم ينتهي الأمر بالزواج من أمها، ولا يدل هذا أيضاً على أن عقدة أوديب تحركت من أعماق الشاب وأحيت عشق الطفولة، بل الأقرب من هذا اعتبار الخلوة بالمرأة الأجنبية سبباً رئيسياً من أسباب هذا الزواج، ويضاف إليه أسباب أخرى مثل:

أ ـ ضعف القدرة المالية، فإن ما تقنع به المرأة المسنة من مؤن الزواج غير ما يرضي ابنتها الشابة.

ب ـ شعور الشاب بانصراف الفتاة عنه، وقد تلاحظ الأم ذلك، فتوليه عناية أكثر، رغبة منها في استمرار خطبته لابنتها وقد

تتحول إلى رغبة شخصية، وقد يظن الشاب ذلك فيعلن عن شعوره ـ الواهم ـ نحو المرأة.

جـ ـ وقد يرجع السبب إلى طول فترة الخطوبة لعدد غير قليل من الأعوام ولا يلوح في الأفق أمل قريب لتحقيق الزواج من الفتاة الشابة.

وهذه حالات فردية نادرة شاذة لا نسبة لها في المجتمع، وأعتقد أنها لا تزيد عن حالة أو حالتين في المليون، فلو أن عقدة أوديب المزعومة وراء هذه الأحداث الفردية النادرة لوجدنا عدداً غير قليل من الشباب يتزوجون من نساء متقدمات في السن ومن الذين يتزوجون بأمهات خطيباتهم والواقع يشهد بأن ذلك غير واقع.

[٣] ـ عقدة الحموات:

«أما مشكلة (الحموات) تلك المشكلة الأبدية، فلعقدة أوديب فيها أثر كبير، فكثير ما يثير عناية الزوج الزائدة بأمه وحبه الشديد لها حفيظة زوجته وغيرتها الشديدة من هذا المنافس العنيد... فهي تشعر شعوراً خفياً بالكراهية نحو هذه الحماة، ولكنها تكبت هذاأمام زوجها وينجم عن هذا الكبت الكثير من القلق الذي يعكر صفو حياتهما الزوجية... وقد تعتدي الزوجة على منافستها بالقول أو ما يزيد، فتثير حفيظة زوجها، لأنها اعتدت على عشيقة صباه فتثور ثائرته، ويروح يلتمس لزوجته أسباب الإدانة وحقيقة الأمر أنه بعد زواجه إنما يضيق ذرعاً بزوجته، خاصة عندما يفكر جدياً في فصم عرى الزوجية، بسبب أمه، إنه هنا يريد الهروب من حياة زوجية لم يتحقق له فيها ما كان يصبو إليه، ليهرب إلى ذلك الصدر الذي

تعشقه في صباه»[1].

سبحان الله... ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

إن قلوب المؤمنين تخشع وتخضع لأمر الله وحكمه وقضائه سبحانه فتستجيب طائعة وتلبي النداء مسرعة.

أبعد أن تعتدي الزوجة على الأم فتنال منها بلسانها أو أن تشير إليها بيدها أو أن تدفعها، وحين يأتي دور الزوج ليعاتبها أو يحاسبها أو ليعاقبها يجد نفسه متهماً يتلمس الإدانة لزوجته، إنها مدانة حقاً، إنها اعتدت على أم قضى الله سبحانه بحسن معاملتها، وحرَّم أبسط مظاهر الجفوة في الحديث إليها.

فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[3].

تقرر الآيات السابقة أن طاعة الوالدين أمر ديني قد أوجبه الله سبحانه لهما على أبنائهما ذكوراً وإناثاً، وإنه في حق الذكور ألزم وأوجب، وقد حرم الله أن يتسم سلوك الإبن بإهمال حقوق والديه أو التأفف أمامهما أو النظرة الغاضبة في وجوههما، وأوجب السلوك

---

(١) المصدر السابق (ص ١٤٤).

(٢) سورة الحديد آية: (١٦).

(٣) سورة الإسراء آية: (٢٣، ٢٤).

المعبر عن مودتهما والرحمة بهما وخفض جناح الذل لهما، وصلة الرحم التي توصل بهما، وإكرام صديقهما والدعاء لهما بالمغفرة والرحمة والصدقة عنهما.

obeikandl.com

تعديل الدوافع

خلق الله سبحانه الإنسان مزوداً بدوافع تحرك سلوكه نحو عمليات الإشباع التي يتحقق بها المحافظة على كيانه وعدم تعريضه للهلاك، وتلك التي تعمل على استمرار بقاء النوع الإنساني، غير أن تلبية هذه الدوافع في عالم الإنسان تختلف عنه في عالم الحيوان، فإنها لا تلبى بطريقة همجية فوضوية، إنما يجب أن تلبى بطريقة تتناسب مع مستوى المخلوق الإنساني الذي كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وميزه عن سائر الكائنات الحية بالنطق والبيان، والعقل الذي يدرك به الجزئيات والكليات وعلاقات الإتصال والإنفصال بين الأشياء وهو آلته للتمييز بين الخير والشر، بين ما ينفعه وما يضره، وميزه بالقلب الضابط لهوى النفس واتجاه العقل، إلى غير ذلك من الخواص التي انفرد بها الإنسان دون غيره من الكائنات، فناسب ذلك أن يكون سلوكه دالاً على الخصائص التي انفرد بها، ذلك أن الدوافع بنوعيها خلقت فينا لأهداف عالية ولغايات سامية، فلم تخلق فينا لمجرد الإشباع الحسي، فناسب ذلك أن تلبى بالطرق والوسائل التي تحقق الأهداف التي خلقت فينا من أجلها، وليتم لنا الوصول إلى الغاية من خلقنا.

إن الشهوة إذا تغلبت وأشبعت لذاتها بغض النظر عن الأهداف

المنوطة بها، أبعدت الفرد عن بلوغ الغايات السامية، وردته إلى حيوانية بغيضة، تنفر منها النفس المستقيمة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾[1].

يأكلون كما تأكل الأنعام، ذلك أنهم يلبون دوافعهم بطريقة همجية فوضوية، هي إلى التصريف الحيواني أقرب، ذلك أنهم لم يستخدموا وسائل الإدراك التي تميز بها الإنسان عن الحيوان، وأنه لا يكون متميزاً حقاً ما لم تبدو مظاهر تميزه في سلوكه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

إن الكافرين بجميع مللهم ومذاهبهم قد عطلوا وسائل الفهم والإدراك فيهم، حيث أنهم لم يستخدموها فيما خلقت له من أهداف عليا وغايات سامية، إنهم قد عموا عن مطالعة دلائل الإيمان والهدى وهي ماثلة أمامهم يذخر بها الوجود كله سماواته وأرضه، ولما جاءتهم رسلهم بالحق من ربهم أصموا آذانهم حتى لا تسمع لنداء الحق سبحانه، وأما كونهم كالأنعام فلأنهم قد عطلوا حواسهم عن أهم وظائفها، وأما كونهم أضل، فلا أن الأنعام تسبح بحمد ربها.

يعطي الإمام أبو حامد الغزالي تصوراً دقيقاً لموقف العقل السليم من هوى النفس ودوافعها فيقول: «مثل العقل مثال فارس

---

(١) سورة محمد ﷺ آية: (١٢).
(٢) سورة الأعراف آية: (١٧٩).

متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً، فهو خليق بأن يعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب، وإنما خرق الفرس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة، خصوصاً شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه»[1].

إن الإسلام دين الفطرة ـ يلبي الدوافع الفطرية والإجتماعية أو النفسية ولا يستقذرها أو يستحقرها ولا ينفر منها أو يدعو إلى العزوف عنها إنما ينظمها ويهيىء لهاالجو المناسب الذي يتحقق معه أهدافها ويتوصل إلى غاياتها، وإنه ليقدر أن الكثير من الأفراد قد لا تسعفهم طبيعة الحياة وعلائقها لتلبية دوافعهم بالطريقة المشروعة التي تحقق أمن المجتمع واستقراره، وتؤدي إلى تحضره وتقدمه، فهو لا يترك أمر الذين تحول إمكانياتهم المادية دون إشباع دوافعهم المادية والمكتسبة، إن التشريع الإسلامي لا يتركهم يهيمون في المجتمع حيارى معذبين نفسياً، ولا هو يأمرهم بكبت دوافعهم أو قمعها، ولا هو يرضى لهم أن يتخلصوا منها بتعطيل أسبابها المباشرة، وبخاصة الدافع الجنسي، ولذا نهى رسول الله ﷺ عن الإختصاء، وحث على الصوم فإنه للشاب وجاء.

روى الإمام البخاري بسنده عبد الرحمن بن يزيد قال: «دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله: كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب من

---

(١) احياء علوم الدين (جـ ٣ ص ٧).

استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

يسلك الإسلام بمن حالت قدراتهم المادية عن الزواج طرقاً بديلة معبدة، تعمل على تقليل حدة وفاعلية الدافع الجنسي، بأن يشغل اللسان بالذكر والقلب بالتفكر والتصديق وينظم مطالب المعدة المادية من طعام وشراب، فتنشأ بذلك دوافع أخرى بديلة، فالصوم حابس لثورة الدافع الجنسي ولا يضعف الجسم، ذلك إن الشاب الصائم ينظم له الإسلام عمليتي الطعام والشراب، فتكون في السحر والإفطار ويكون ما بينهما وانشغال بالأعمال التي يباشرها الشاب مع ذكر الله سبحانه أثناء العمل وبعده، والإسلام يحث الشباب ويدفعهم إلى العمل الجاد المثمر كوسيلة لتحقيق دوافعهم الفطرية بالطرق المشروعة.

يقترب علماء النفس من المنهج الإسلامي السابق في بعض جزئياته تجاه تعديل الدوافع التي تشبع لكون المجتمع يحدد إطاراً لإشباعها، والأفراد الذين يتعذر عليهم عمليات الإشباع بالطرق الشرعية التي يرضى عنها الدين والمجتمع، أما أن يتركوا للكبت أو العقد النفسية أو الأمراض العصبية أو أن يسلك لهم سبيلاً آخر يحميهم من أضرار الكبت والعقد النفسية، وهذا السبيل أسموه بتعديل الدوافع وإعلائها وفيما يلي إلمامة سريعة لبعض ما قالوه:

[١] ـ التبرير:

«هي عملية دفاعية لا شعورية، يقصد منها الفرد تقديم

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب النكاح ـ باب ـ من لم يستطع الباءة فليصم.

تعليلات قد تبدو للعقل منطقية ولكنها ليست في واقع الأمر هي الأسباب الحقيقية فكثيراً ما نحاول تبرير بعض الأمور الصادرة منا والتي تعبر في أساسها عن رغبات مكبوتة لهذا فإن الفرد عندما يخرج في تصرفاته عن الحد المعقول والمرغوب اجتماعياً فإنه يلجأ إلى هذه الحيلة حتى يبين لنفسه وللناس أن سلوكه مقبول لا غبار عليه، بمعنى تبرير سلوكه حتى يبدو في نظره ونظر الآخرين معقولاً، مثال ذلك التلميذ المتخلف دراسياً الذي يعتذر بأن المعلم غير كفء أو بصعوبة المناهج الدراسية أو بأن الإمتحانات كانت غير طابقة للمقررات الدراسية إلى غير ذلك من الأسباب التي يعلق عليها تبعة فشله»[1].

إن اعتبار التبرير ـ بالوصف المبين سابقاً ـ حيلة دفاعية لا شعورية تعمل على تخفيف حدة التوتر عند إعاقة الدافع أمر لا تحمد عقباه، للأسباب الآتية:

أ ـ إن التخفيف حادث مؤقت فلا يدوم طويلاً.

ب ـ إن التبرير عملية دفاعية مخالفة للواقع، وهذا شيء يعلمهُ الفرد جيداً.

جـ ـ إن المجتمع لا يتقبل عملية التبرير في سهولة ويسر، بل يشك فيها أو يتردد ومظهر ذلك تبرم الوالدين وتمتمتهما عندما يبرر المراهق فشله في الدراسة الثانوية.

د ـ إن التبرير لا يعنى بالحقائق، ولهذا يجب أن لا يعتمد عليه في الأصول التربوية، لأن الحقيقة تبقى كما هي لم تمس، فالطالب مهمل بلا شك في جانب أو جوانب كثيرة من العملية التعلمية،

---

(١) قراءات في علم النفس (ص ١٥٧).

كـالأعداد المسبقة للدروس والمـذاكرة الـدائمـة، وتنـظيم أوقـاتهـا، وتحديد أوقات الراحة، والمراجعة الأسبوعية أو الشهرية. . . الخ.

لهذا فإن التبرير لا يساعد المـراهق على مواجهـة الحقائق في صراحة تامة، وغالباً ما يورثه أحزاناً كثيرة إذا ما اتخذه أسلوباً ونهجاً.

[٦] - الإسقاط:

«هي حيلة عقليـة دفاعيـة لا شعوريـة يـرمي الفـرد فيهـا غيـره بصفـاته الممقـوتة، فنجـده يصف الآخرين بمـا في داخل نفسـه من صفات غير محببة إليه، ولا شك أن لكل إنسان خلة مذمومة أو صفـة ممقـوتة أو خلق غيـر كريم، ولا يـرضيه الإعتـراف بذلـك فيلجأ إلى الإسقاط، فينسب ما في نفسه من صفات غيـر مقبولـة اجتماعيـاً إلى غيـره من النـاس، فكثيـراً مـا نجـد البخيـل يصف سلوك الآخـرين بالبخل، والأناني يصف سلـوك من يتعامل معهم بالأنانية»[1].

إن الإسقـاط بـوصفـه السـابق يمقتـه الإسـلام ويستقـذره ويستحقره، ذلك أن الإسلام يحرم الغيبة والبهتان:

فـالغيبة: أن يـذكر شخص بصفـة قبيحة ممقـوتة لازمـة له في سلوكه.

والبهتان: أن يذكر شخص بصفة ممقوتة ليست فيه أصلاً.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوابٌ**

---

(١) المصدر السابق (ص ١٥٨).

رَحِيمٌ﴾[1].

تقرر الآية تحريم الظن والتجسس والغيبة، بدليل الحض على التوبة من فعل ما تقدم ورحمة الله تعالى تسع كل تائب مستغفر، وقد شبهت الآية هذه المواقف السلوكية بمن يأكل الجيف النتنة.

يعرض مشهداً تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية مشهد الأخ يأكل لحم أخيه... ميتاً... ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للإشمئزاز.

روى الإمام مسلم بسنده ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[2].

فالإسقاط أشد فحشاً من البهتان لا شتماً له عليه وزيادة، وذلك أن القاذف في حالة الإسقاط معتل بعلة ممقوتة فإذا به يرمي بها من ليست فيه، ولا يشغل نفسه المريضة بما يخلصها من أمراضها النفسية، ويعمل على تكميلها بمكارم الأخلاق.

[٣] ـ التقمص:

«قد يميل الفرد أحياناً وبطريقة لا شعورية إلى إدماج شخصيته إدماجاً كاملاً في شخصية فرد آخر، وبذلك ينتحل الفرد لنفسه

---

(١) سورة الحجرات آية: (١٢).

(٢) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة ـ باب ـ تحريم الغيبة.

شخصية من يحب ويعجب به.

ويجدر بنا أن نوضح الفرق الجوهري بين التقمص والتقليد، فالتقمص عملية لا شعورية يأتي بها الفرد لا إرادياً بينما التقليد عملية شعورية بحتة يقوم بها الإنسان عن كامل الوعي والإدراك.

ولا شك في أهمية المثل والقدوة في بناء الشخصية السوية السليمة، ولدينا والحمد لله المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الاقتداء برسول الله ﷺ مصدقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1].

[٤] - الإبدال:

«والإبدال هو أفضل الطرق الدفاعية كلها في حل المشكلات وانقاص حدة التوتر دون أن يترتب على ذلك إطلاع الناس أو إطلاع الفرد على ما لديه من دوافع غير مقبولة أو نزعات يحرمها المجتمع وفيه يعمل الفرد من أجل أهداف صالحة تختلف عن الأهداف الأصلية غير المقبولة.

والإبدال نوعان: إعلاء وتعويض.

أما الإعلاء: فهو التعبير عن الدوافع التي لا يقبلها المجتمع بوسائل يقرها المجتمع ويرتضيها، فالشخص الذي يحال بينه وبين الدافع الجنسي قد يقوم بإعلائه ويأخذ في تأليف الرسائل الغرامية، أو قصائد الشعر أو عمل اللوحات الفنية، وفي الإعلاء تصريف الطاقة الجنسية، وإنقاص من حدة التوتر ولكنه ليس تصريفاً كاملاً

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٢١).

ولا انتقاصاً تاماً.

وأما التعويض: فهو محاولة الفرد النجاح في ميدان من ميادين النشاط بعد أن أخفق في ميدان آخر مختلف عنه أو مرتبط به، فالتلميذ الذي يفشل في الألعاب الرياضية، قد يعوض فشله هذا بالدراسة والجد في المذاكرة ليصيب من التقدير في الفصل ما لم يتحقق له في الغناء، وواضح أن التعويض هنا قد تم في ميدان مخالف للميدان الأول»[1].

إن الإسلام يحقق الإبدال بنوعيه بطريقة متفردة متميزة لا تقنع بأن يعيش المراهق المسلم حياة تكتنفها طفولة عقلية ساذجة لا تؤدي به إلى حياة سوية، بل تبدد قدراته واستعداداته وتضيع وقته فيما لا يفيد، ويزيد الأمر تعقيداً يوماً بعد يوم حتى يصير حجر عثرة في طريق إشباع دوافعه الفطرية بل ربما تؤثر على مستوى توازن شخصيته وقد تؤدي إلى ثورة الدافع وقد تحرض الفرد على التوثب على قواعد المجتمع الذي يعيش فيه وقد تعرضه للمهالك.

إن الإسلام لا يرضى للبالغ أن يكون تأليف القصص الغرامية أو الشعر الغرامي أو الغزل أو عمل اللوحات الفنية، وما شابه ذلك طريقاً لتصريف دافع الجنس، ذلك أن الدافع الجنسي موجود في كيان كل فرد، القوي والضعيف الرجل والمرأة، مع افتراض التفاوت النسبي بين الأفراد.

إن التأليف في الموضوعات الغرامية شعراً ونثراً فضلاً عن أنه

---

(١) علم النفس أصوله وتطبيقاته ـ (ص ٢٢١) وانظر قراءات في علم النفس (ص ١٥٩).

يثير الدافع الجنسي ولا يشبعه، فهو أمر أو طريق لا يستطيعه جميع الأفراد، فالتأليف في أبسط معانيه يتطلب قدرات عقلية خاصة ومستوى ثقافياً معيناً، وهو في الوقت نفسه مضيعة للوقت فيما لا يفيد، ولو أنه استخدم قدراته في عمل مثمر من أي نوع يدر عليه عائداً مادياً وان يكن بسيطاً، وبذلك يكون قد خطا خطوة تقدمية على طريق الإشباع الشرعي.

إن الدافع الجنسي على الرغم من فاعليته وحركته لا يلح في الإشباع إلا إذا أثير بواسطة مثير داخلي أو خارجي، والمثير الداخلي مبعثه الجانب البيولوجي والنفسي في الفرد، والخارجي يتمثل في الجانب الإدراكي البصري والسمعي (رؤية المرأة في زينتها أو سماع صوتها فيه تخنث، وغير ذلك من عوامل الإثارة المتعلقة بالمرأة).

«إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في لحظة، فعمليات الإثارة المستمر تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفىء ولا يرتوى، فالنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري... كلها لا تصنع شيئاً إلا تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون فأما الإفضاء الفوضوي وإما الأمراض العصبية.

وأولى وسائل الإسلام لإنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون الإستثارة وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً دون استثارة مصطنعة وتصريفه في موضعه الأمين النظيف...».

إن منهج التربية النفسية الإسلامية فإنه يخط للإبدال بنوعية قواعد تحول دون إثارة الدافع الجنسي، ومبادىء تحقق الإشباع الطبيعي في يسر وسهولة.

(١) - غض البصر من الرجال والنساء.

(٢) - الحد من اختلاط النساء بالرجال.

(٣) - تحريم إبداء المرأة لزينتها لغير محارمها.

(٤) - تحريم لبس الثوب الرقيق الكاشف أو الواصف لمفاتن المرأة.

فهذه المبادىء الأربعة أهم الأسس المساعدة على إعلاء الدافع الجنسي في نفس كل من الرجل والمرأة والمحافظة على فاعليته حتى يحين الظرف المناسب للإشباع.

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ**﴾[1].

وفي الإبدال يظهر التعويض نجد المبادىء التالية: -

(١) - الصوم فإنه له وجاء.

(٢) - العمل الجاد المثمر - وهي مسؤولية الهيئة الإجتماعية أن تعمل على تيسير سبله وتنويعها لإستيعاب مختلف قدرات المراهقين والشباب في فترة الإجازة الصيفية، تمهيداً وإعداداً لحياة المستقبل بعد التخرج.

(٣) - تقليل المهر والعمل على تيسير أسباب الحياة الزوجية.

(٤) - اشتراك الأسرة في نفقات الزواج.

---

(١) سورة النور آية: (٣٠، ٣١).

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعمل واستنفاد الجهد والطاقة في سبيل العيش وتوفير مظاهر الحياة الكريمة، وقرن بينه وبين الأمر بإقامة الصلاة تشريفاً له وتعظيماً.

فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

ولقد حث رسول الله ﷺ على تقليل المهور وتيسيرها، ومنع المغالاة فيه لأن ذلك يؤدي إلى-فساد الأخلاق وهدر الطاقات وإشاعة الأمراض الإجتماعية والنفسية.

روى الإمام البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي. قال فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وصوبه، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض منها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: وهل عندك من شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله، فقال اذهب إلى أهلك فهل تجد شيئاً، فذهب، ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد..»[2].

لقد زوجه رسول الله ﷺ على آيات من القرآن الكريم كأن يحفظها على أن يعلمها للمرأة فكان هذا مهرها، وقد رضيت به،

---

(١) سورة الجمعة آية: (١٠).

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب النكاح ـ باب ـ تزويج المعسر.

هؤلاء هم السلف الصالح لهذه الأمة رضوا بالقليل حتى أغناهم الله سبحانه وأغدق عليهم نعمة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

(١) سورة النور آية: (٣٢).

obeikandl.com